
روايات مصرية للجيب
رجل المستحيل
قبضة الشر
109
د. نبيل فاروق
Looloo
www.dvd4arab.com
الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

رجل المستحيل

(أدهم صبرى).. ضابط مخابرات مصرى، يرمز إليه بالرمز (ن-١).. حرف (النون)، يعنى أنه فئة نادرة، أما الرقم (واحد) فيعنى أنه الأول من نوعه؛ هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص.. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة، من المسدس إلى قاذفة القنابل.. وكل فنون القتال، من المصارعة وحتى التايكوندو.. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لستّ لغات حيّة، وبراعته الفائقة فى استخدام أدوات التنكّر و(المكياج)، وقيادة السيارات والطائرات، وحتى الغواصات، إلى جانب مهارات أخرى متعدّدة.

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات.. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل).

د. نبيل فاروق

١ - أصابع الدمار..

غاص مفتش المباحث الفيدرالى (دين هانكس) فى مقعده، داخل حجرة صغيرة محدودة، فى مبنى المباحث فى (نيويورك)، وتطلّع فى اهتمام مشوب بالإرهاق إلى (بيرت)، مسئول أمن سجن (نيويورك) المركزى، والذى بدا شديد التوتر والعصبية، وسط الصمت الذى خيّم على الحجرة، وهو يدير بصره فى جدرانها العارية، والرجل ضخم الجثة، الذى وقف إلى جوار بابها، ومسدسه الكبير يطل من غمده أسفل إبطه، ويتوقّف عند المائدة الوحيدة الصغيرة فى منتصفها، والتى جلس (هانكس) عند الناحية المقابلة منها، يرمقه بنظرة صارمة، جعلته يقول فى عصبية:

- حسن.. لقد أحضرتمونى إلى هنا لإلقاء بعض الأسئلة، وليس للجلوس هنا، لنعزف معًا سيمفونية الصمت(*).. أليس كذلك؟

(*) السيمفونية: تأليف آلى فى الموسيقات الأوروبية، ويعود أصلها إلى افتتاحيات الأوبرات الغنائية فى (إيطاليا)، فى القرن السابع عشر، ثم تطوّر فأصبح تأليفًا مستقلًا، تشترك فيه مجموعة الآلات الموسيقية (الأوركسترا)، ويراد به إظهار هيئة تصويرية لحالة ما، أو إعطاء معنى محدود.

تبادل (هانكس) وزميله نظرة صامتة ، ثم اعتدل الأوَّل ، وسأل (بيرت) فى صرامة مباغتة :

ـ لحساب من تعمل يا (بيرت) ؟

انتفض جسد (بيرت) فى عنف ، واتسعت عيناه فى ارتياع ، مع السؤال الذى لم يتوقَّعه قط ، وانطلقت من حلقه شهقة أشبه بالاعتراف ، واختنق حلقه بالكلمات طويلاً ، حتى إن (هانكس) مال نحوه ، وهو يقول فى خشونة :

ـ هل كان السؤال مباغتًا إلى هذا الحد ؟

ارتبك (بيرت) ، واضطرب وخرجت الكلمات من بين شفتيه مرتجفة مختنقة ، وهو يتمتم :

ـ ما .. ما معنى هذا السؤال ؟

أجابه (هانكس) فى لهجة هجومية عنيفة :

ـ معناه أنك لست مخلصًا لعملك يا (بيرت) ، وأنك لا تستحق الحصول على منصب مسئول أمن السجن ، مع سجل حافل بالمخالفات إلى هذا الحد ، فكيف وصلت إلى ما وصلت إليه ؟! .. من دفعك للحصول على هذا المنصب ؟!

انتفض جسد (بيرت) ، وهو يقول فى عصبية :

ـ ليس هذا من شأنك .

تراجع (هانكس) بمقعده ، قائلاً :

ـ حقًا ؟! .. وماذا عن عملية الفرار الأخيرة ؟ هل تعتبر نفسك مسئولاً عنها ؟! .. وهل تظن أنك تصرَّفت بما ينبغى تجاهها ؟

قال (بيرت) فى توتر شديد :

ـ لقد بذل رجالى قصارى جهدهم .

قال (هانكس) :

ـ ولكن السجين نجح فى الفرار .

هزَّ (بيرت) رأسه فى قوة ، هاتفًا :

ـ لا أحد يمكنه تحقيق الأمن بنسبة مائة فى المائة .. لقد أدينا واجبنا ، وبذلنا كل ما يمكننا ، ولكن ذلك الرجل بالذات كان أشبه بالشياطين .. ثم إنه لم يكن رجلاً عاديًا .. ألم تر صورته على شاشة (التليفزيون) ، وتسمع ما قالوه عنه ؟! .. إنه رجل مخابرات ياهذا .. رجل مخابرات مدرَّب على الفرار من أصعب المواقف .

انعقد حاجبا (هانكس) فى غضب ، وهو يسمع هذا القول ، وقال فى حدة :

ـ إذن فأنت تعتقد أنك كنت مخلصًا فى عملك .

هتف (بيرت) ، وقد استعاد شيئًا من ثقته بنفسه :

ـ بالتأكيد .

صمت (هانكس) بضع لحظات ، وهو يتطلَّع إليه بنظرة نارية ، ثم سأله فى صرامة شديدة :

ـ ما علاقتك إذن بـ (توماس كلارك) ؟

وفى هذه المرة ، كانت انتفاضة (بيرت) من العنف ، بحيث كادت تقلب به مقعده ، وبدا اتساع عينيه عجيبًا ، حتى خُيِّل لـ (هانكس) وزميله أنهما ستقفزان من محجريهما ، وتدلَّى فكه السفلى على نحو مثير للشفقة ، قبل أن يتمتم فى ارتياع شديد :

ـ (توماس) من ؟

أجابه (هانكس) بمنتهى الصرامة :

ـ (توماس كلارك) يا (بيرت) .. القاتل المحترف السابق ، الذى عمل بعض الوقت لحساب (المافيا) ، والذى يشاع أنه يرأس اليوم اتحادًا للقتلة المحترفين .. ألا تعرفه ؟!

ازدرد (بيرت) لعابه فى صعوبة ، وهو يتمتم :

ـ مطلقًا .. لم أسمع اسمه قط .

تبادل (هانكس) وزميله نظرة ساخرة ، قبل أن يقول الأخير ، وهو يلتقط ورقة من ملف (بيرت) ، ويتطلَّع إليها فى هدوء :

ـ عجبًا !.. كيف يتفق هذا مع المحادثة الهاتفية ، التى أجريتها معه ، فى أثناء محاولة الفرار ؟! .. وفى الوقت الذى يفترض تواجدك فيه لقيادة رجالك ؟

شحب وجه (بيرت) بشدة ، وهمَّ بقول شىء ما ، ولكن (هانكس) أشار بسبَّابته ، مستدركًا فى حزم :

ـ مع ملاحظة أن القانون يحتم تسجيل كل المحادثات ، التى تتم من هواتف السجن ، كإجراء أمنى .

ثم مال نحوه ، مضيفًا فى صرامة :

ـ وهذا يعنى أن لدينا نصَّ الحديث كله .

امتقع وجه (بيرت) ، وزاغت عيناه ، وبدا كما لو أنه سيفقد وعيه من شدة الاضطراب ، قبل أن يتمتم فى شحوب :

ـ لم أكن أعلم هذا .. ولكن .. ولكن ..

سأله (هانكس) صارمًا :

ـ ولكن ماذا يا (بيرت) ؟

اصطبغت عينا (بيرت) بالاحمرار ، كما لو أن الدماء تتدفَّق فيها بغزارة ، وخفض وجهه فى مرارة ، متمتمًا :

ـ هل يمكننى عقد اتفاق ما ؟!

تألَّقت عينا (هانكس) فى ظفر ، وتراجع متبادلاً نظرة سريعة مع زميله ، قبل أن يقول :

- أى نوع من الاتفاقيات ؟!

أجابه (بيرت) بلهجة أقرب إلى البكاء :

- سأعترف بكل شىء .. كل شىء .. وسأتعاون معكم فى كل ما تأمروننى به ، فى مقابل اعتبارى شاهد ملك .

تضاعف بريق النصر فى عينى (هانكس) ، وهو يقول :

- يمكننا أن نفكّر فى هذا الأمر .

لم يكد ينطق عبارته ، حتى فتح أحد زملائه الباب ، وقال فى انفعال :

- يبدو أن (أدهم صبرى) قد ظهر ثانية يا رجال .

هتف (هانكس) ، وهو يهبّ من مقعده فى لهفة :

- أين ؟!

أشار الرجل بسبّابته مجيبًا فى انفعال :

- تلقّينا بلاغًا عاجلاً عن معركة بالصواريخ عند الاستاد الأوليمبى فى (نيو آرك) .. هل يمكنك أن تتصوّر شخصًا آخر ، يمكنه القيام بهذا ؟!

تبادل (هانكس) مع زميله الأوّل نظرة مفعمة بالانفعالات ، قبل أن يقول للثانى بلهجة آمرة حازمة :

- فليكن .. سنذهب إلى هناك على الفور ، أما أنت فواصل استجواب زميلنا (بيرت) ، فلديه اعتراف خاص سيدلى به .

سأله (بيرت) فى لهفة :

- أيعنى هذا أنك قبلت الاتفاق ؟

أجابه (هانكس) ، وهو يندفع مع زميله خارج الحجرة :

- بالتأكيد .

وعندما اندفعا عبر الممر الطويل ، الذى يقودهما إلى خارج المبنى ، سأله زميله ، وهو يرتدى سترته على عجل :

- لم أكن أعلم أن القانون ينص على تسجيل كل المحادثات الهاتفية فى السجن !.. أيوجد بالفعل قانون كهذا ؟!

أجابه (هانكس) فى اقتضاب ، وهو يدلف إلى السيارة الخاصة بالجهاز :

- كلاًّ .

ابتسم زميله ، وهو ينطلق بالسيارة ، فى حين حاول (هانكس) أن يسترخى فى مقعده ، وهو يسترجع الأحداث فى ذهنه منذ البداية ..

ولكنه ، ومهما حاول ، لم يكن باستطاعته قط معرفة حقيقة الأمور ..

* * *

فالواقع أن كل هذا قد بدأ بمحاولة من (السنيورا) ، زعيمة منظمة (الأفعى) الجديدة ، للتخلص من (أدهم

صبرى) ، فى أثناء وجوده فى (نيويورك) ، للاطمئنان على الموقف الصحى لزميلته (منى توفيق) ، الواقعة فى غيبوبة عميقة منذ وقت طويل(*) ..

وفى سبيل هذا ، تعاقدت السنيورا مع اتحاد للقتلة المحترفين ، ويرأسه (توماس كلارك) ، ودفعت رجالها لاختطاف السفير المصرى فى (واشنطن) ، لتجبر (أدهم) على البقاء فى (أمريكا) لأطول فترة ممكنة ، حتى يستعد (توماس) ورجاله للقضاء عليه ..

ودون أن يدرى (أدهم) بما يدور خلف الكواليس ، انطلق مع زميلته الجديدة (جيهان) يخوضان معارك شتى ، للتوصل إلى السفير المختطف ، وتآزرت ضدهما كل القوى ، من القتلة المحترفين ، والمباحث الفيدرالية الأمريكية ، وفريق من قتلة المخابرات الأمريكية ، بقيادة الجنرال (جيمى تورنسول) ، الذى ذاق على يدى (أدهم) هزيمة ساحقة فى (سويسرا)(**) ..

وتداعت الأحداث فى سرعة ، ليجد (أدهم) نفسه مضطرًا للتضحية بنفسه ، لإنقاذ (قدرى) و (منى) ، حتى انتهى به الأمر كسجين احتياطى فى سجن

(*) راجع قصة (الضربة القاصمة) .. المغامرة رقم ١٠٠

(**) راجع قصة (عقارب الساعة) .. المغامرة رقم ١٠٥

(نيويورك) المركزى ، حيث تعرَّض لمحاولة قتل عنيفة فى زنزانته ..

وينجو (أدهم) من محاولة الفرار ، ولكنه يفاجأ بخبر اختطاف زميلته (منى) ، على الرغم من غيبوبتها ، فينطلق كالليث الثائر لاستعادتها ، وينتقل الصراع إلى مرحلة أكثر عنفًا ووحشية ، و (أدهم) يصارع للفرار من السجن ، ويواجه القتلة المحترفين الذين يسعون لقتله بلا رحمة أو شفقة ..

وتتطوَّر الأمور أكثر وأكثر ، فيحاصر اتحاد القتلة (أدهم) و (جيهان) عند تمثال الحرية ، وتدور معركة وحشية ، ينجو خلالها (أدهم) بأعجوبة ، ويواصل صراعه حتى يتمكن من تحرير السفير المصرى وزوجته ، ويواجه مرة أخرى المباحث الفيدرالية بقيادة (دين هانكس) ، ثم يحسم الأمر بضربة بارعة ..

وأخيرًا يتفرَّغ (أدهم) للبحث عن (منى) ، ولأول مرة ، يجذب هو من تبقى من اتحاد القتلة إلى فخ محكم ، ولكنهم يواجهونه بهليوكوبتر تطلق نحوه الصواريخ ، فيحتدم القتال ، ويلقى (توماس كلارك) مصرعه على يد زميله (بل هايدن) ، فى نفس الوقت الذى يجد (أدهم) نفسه فيه فى مواجهة آخر قتلة المخابرات ، وهو يهاجمه بأحدث الأسلحة التجريبية للجيش الأمريكى ..

مشروع (السوبرمان) ..

وفى نفس اللحظة ، التى واجهت فيها (جيهان) خطر الموت ، على يد القاتل المحترف (ألفريد جاكسون) ، كان (أدهم) يواجه ترسانة أسلحة كاملة ، فيما بدا كمواجهة فريدة .

ورهيبة(*) ..

★ ★ ★

انطلقت ضحكة القاتل المحترف (ألفريد جاكسون) تجلجل فى مدخل البناية الفاخرة ، المطلّة على الإستاد الأوليمبى (كارلستاد) ، وهو يصوّب مدفعه الآلى القصير نحو (جيهان) ..

وانطلقت رصاصاته بلا رحمة ..

وأمام عينيه مباشرة ، أصاب سيل الرصاصات جسد (جيهان) ، واقتلعها من مكانها ، ودفعها ما يقرب من المترين إلى الخلف ، قبل أن تسقط إلى جوار الجدار ، وتهمد حركتها تمامًا ..

ومرة أخرى ، أطلق (جاكسون) ضحكته المجلجلة ، وهو يتجه نحو (جيهان) ، قائلاً فى سخرية :

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الأجزاء الثلاثة الأولى (الأفعى) ، (استاد القتلة) ، (الفخ) .. المغامرات أرقام ١٠٦ و ١٠٧ و ١٠٨

ـ كان ينبغى أن تدركى أن الموت هو مصير كل من يتحدّى (جاكسون) .

ولكن فجأة ، هبّت (جيهان) واقفة على قدميها ، وهى تقول بسخرية أكثر :

ـ ومن أدراك أنه ليس مصير (جاكسون) نفسه .

اتسعت عينا (جاكسون) ، وتراجع كالمصعوق ، وحاول أن يرفع فوهة مدفعه الآلى ، ليطلق النار عليها ثانية ، ولكنها استلّت مسدسها بسرعة ، وهى تهتف :

ـ لا تحاول أيها الوغد .. لقد استوعبت الدرس .

وانطلقت رصاصاتها ، مع استطرادتها الصارمة :

ـ على الرأس مباشرة .

اخترقت رصاصاتها رأس (جاكسون) ، ودفعته إلى الخلف فى عنف ، ليرتطم بالجدار فى قوة ، ثم يسقط جثة هامدة ، والدماء تسيل من رأسه المحطّم فى غزارة ، فمطّت هى شفتيها ، ونفخت الدخان المتصاعد من فوهة مسدسها ، قبل أن تعيده إلى غمده ، وتربّت على معطفها القصير ، قائلة :

ـ كان ينبغى أن تدرك أنك لست الوحيد ، الذى يرتدى سترة واقية من الرصاصات .

قالتها ، وغادرت المكان فى خطوات سريعة ، لتحلق بـ (أدهم) عند الاستاد الأوليمبى (كارلستاد) ..

ولم تكد تغادر المبنى ، وتتجه إلى هناك ، حتى انعقد حاجباها فى شدة ، وسرت فى جسدها موجة من التوتر العنيف ، وهى تتطلع إلى سيارات الشرطة والإطفاء والإسعاف ، التى تنطلق نحو الاستاد ، فى نفس الوقت الذى دوى فيه داخله انفجار عنيف ..

وفى عصبية ، غمغمت :

- رباه !.. تُرى ما الذى تواجهه هناك يا (أدهم) ؟!

لم تكن تدرك ، وهى تنطق عبارتها ، أن (أدهم صبرى) يواجه أعنف خصم فى حياته كلها ، فى تلك اللحظة ..

يواجه (جاك) ، القاتل المحترف فى صفوف المخابرات ، داخل أقوى وأحدث الأسلحة الأمريكية ..

مشروع (السوبرمان) ..

وكانت مواجهة رهيبة بالفعل ..

فعندما أطلق (جاك) صاروخه الأول ، كان يتصوَّر أن المواجهة على هذا النحو ، لن تستغرق أكثر من لحظة واحدة ، ينسف خلالها الصاروخ (أدهم) ، ويحوِّله فيها إلى أشلاء متناثرة ..

ولكن (أدهم) وثب إلى الخلف فى خفة ، عندما لمح الصاروخ من طرف عينه ، فتجاوزه لينفجر عند سور الاستاد ..

وعندما التفت (أدهم) إلى (جاك) ، كان هذا الأخير يصوِّب إليه قاذفة لهب فى ذراع زيه القتالى المتطوِّر ، وهو يقول بصوت عميق ، يأتى من خلف خوذته الكبيرة :

- أخيرًا التقينا أيها المصرى .

كان (جاك) يتوقَّع جمود (أدهم) ، أمام تلك المفاجأة المذهلة ، وأن قاذفة اللهب ستحسم الأمر على الفور ، فضغط زر إطلاقها ، وهو يضيف :

- وسنفترق على الفور ..

ولكن (أدهم) استوعب المفاجأة كلها فى لحظة واحدة كالمعتاد ، واستوعب ذلك الموقف العجيب فى جزء من الثانية ، على الرغم من أنه لم يواجهه من قبل قط ، فوثب يتجاوز صفًّا من المدرجات ، فى نفس اللحظة التى انطلقت فيها ألسنة اللهب ..

وعلى الرغم من أنه قد احتمى بالمدرجات فى اللحظة المناسبة ، ومن أن ألسنة اللهب ارتطمت بها وليس به ،

إلا أنه شعر بالحرارة تلفحه فى عنف ، وسمع (جاك) يقول فى غضب ، وهو يتجه نحوه :

- لن يمكنك أن تفرَّ إلى الأبد .

برز (أدهم) من مكمنه ، وأطلق رصاصتين نحو خوذة (جاك) ، هاتفًا :

هذا يتوقَّف على مفهومك لكلمة (الأبد) .

ارتطمت الرصاصتان بالخوذة ، ثم ارتدتا عنها فى عنف ، وأطلق (جاك) ضحكة ساخرة ، هاتفًا :

- لا تحاول أيها المصرى .. الخوذة والزى كله مقاومة للرصاصات ، فهى مصنوعة مع الزى من نسيج خاص ، يفوق (الكيفلار)(*) ألف مرة .

ثم صوَّب أصابع قفازه الضخم نحو (أدهم) ، مستطردًا فى صرامة :

- هذا بالإضافة إلى ترسانة لا تنضب من الأسلحة .

انطلق (أدهم) يعدو بكل قوة ، فى خطٍّ متعرِّج للغاية ، ومن خلفه دوت الرصاصات التى انطلقت من أصابع قفاز (جاك) ..

(*) الكيفلار : نسيج صناعى خاص ، يستخدم لصنع الدروع المضادة للرصاصات ، حيث إنه شديد المقاومة للصدمات ، وخفيف الوزن ، وجمّ الصلابة .

وكان من الواضح أنها أيضًا ليست رصاصات عادية .. لقد انفجرت خلف (أدهم) كعشرات القنابل الصغيرة ، وجعلته يلهث فى شدة ، وهو يركض محاولاً تفاديها ، قبل أن يقفز خلف لوحة إعلانات كبيرة ، أصابت الرصاصات أطرافها ، وسحقت هذه الأطراف سحقًا ، قبل أن يهتف (جاك) :

- جميل منك أن حدَّدت موقعك .

وفى نفس اللحظة ، التى وثب فيها (أدهم) من خلف اللوحة ، أطلق (جاك) نحوها صاروخًا ، انفجر بدوىّ هائل ، وأحدث انفجاره موجة تضاغط عنيفة ، دفعت (أدهم) أمامها لثلاثة أمتار كاملة ، قبل أن يسقط أرضًا ، ويتدحرج فوق المدرجات إلى ساحة الاستاد ..

كانت كل خلية فى جسده تصرخ بالألم ، وكان مصابًا بجرح فى جبهته ، وبرضوض شتى فى صدره وضلوعه ، مع إصابة مدية (هايدن) فى فخذه اليمنى ، والرصاصة التى اخترقت ذراعه اليسرى ، وعلى الرغم من هذا فقد هبَّ واقفًا على قدميه فور سقوطه ، وانطلق يعدو نحو إحدى مقصورات المشاهدين ، فى حين ضغط (جاك) زرًّا فى حزامه ، فانطلقت من خلف ظهره صواريخ

محدودة ، جعلت جسده يرتفع عن الأرض ، ثم يطير مندفعًا نحو (أدهم) ، وهو يقول فى شراسة :

ـ لن تجد شبرًا واحدًا للاختباء .

وثب (أدهم) نحو مقصورة المشاهدين ، قبل أن يلحق به (جاك) بثانية واحدة ، فارتفع هذا الأخير بجسده عاليًا ، وهو يلوّح بقبضته ، صارخًا :

ـ لن يفلح هذا أبدًا .

كان (أدهم) يدرك أن خصمه محق إلى حد ما ، فمع ذلك الفارق الرهيب فى القوة ، تنخفض احتمالات فوزه أو نجاته إلى ما يقرب من الصفر ..

إلا إذا ..

وثبت العبارة الأخيرة إلى ذهنه ، فى نفس اللحظة التى وقع فيها بصره على جثة (ويلى) ، والمدفع المحمول الذى يتشبث به ..

وبسرعة مذهلة ، راجع (أدهم) كل معلوماته عن هذه المدافع المحمولة الحديثة ..

إنها تختلف عن طرازاتها السابقة فى كونها تحوى مخزنًا خاصًا ، يمكنه أن يستوعب أربعة صواريخ دفعة واحدة ، بحيث يطلقها المدفع صاروخًا بعد الآخر ..

و (ويلى) لم يطلق تلك الصواريخ الأربعة حتمًا ..

وهذا يعنى أنه ما زال لديه مخزون من الصواريخ فى مدفعه ..

ولو استطاع (أدهم) الوصول إلى ذلك المدفع ، فربما ..

نعم .. ربما ..

وكعادة (أدهم) ، لم يضع جزءًا من الثانية ، ما بين التفكير والتنفيذ ، فقفز من موضعه على الفور ، على الرغم من ذلك الخصم الطائر ، الذى يندفع نحوه ، وانطلق بأقصى سرعته نحو (ويلى) ومدفعه ..

وصاح (جاك) فى غضب :

ـ لن تفلت هذ المرة ..

وانطلق صاروخه نحو (أدهم) ، إلا أن هذا الأخير وثب وثبة مدهشة إلى الأمام ، تجاوزت الأمتار الأربعة ، فانفجر الصاروخ خلفه ، وقذف به الانفجار لثلاثة أمتار كاملة ، قبل أن يسقط على قيد أمتار خمسة من جثة (ويلى) ومدفعه ..

ولكن (جاك) استدار نحوه فى سرعة ، وهتف :

ـ قلت لك : لن تفلت ..

وفى هذه المرة ، كان (أدهم) يرقد فى منطقة عارية تمامًا ، والمسافة التى تفصله عن الوسيلة الوحيدة للنجاة أطول مما ينبغى ، وخصمه (السوبرمان) يصوِّب إليه صاروخًا جديدًا ، و ...

ولم تعد النجاة ممكنة هذه المرة ..

أبدًا .

★ ★ ★



٢ ـ الانفجار الأخير ..

مطَّ رئيس الشرطة المكسيكى شفتيه فى أسف مصطنع ، وهو يقف أمام بقايا كوخ (جان زوكرمان) المحترق ، وهزَّ رأسه متظاهرًا بالأسى ، وهو يقول لرئيس فريق الإطفاء :

ـ يالها من كارثة .. من الواضح أنكم وصلتم بعد فوات الأوان ، فالكوخ تحوَّل إلى كومة من الأطلال المحترقة ، وأخشى أن يكون ذلك الأمريكى المسكين قد قضى نحبه داخله .

أجابه رئيس فريق الإطفاء فى ضيق :

ـ إننا لم نتأخَّر يا سيدى .. لقد وصلنا بعد اثنتى عشرة دقيقة بالضبط من تلقى نداء الاستغاثة ، الذى أطلقه أحد الصيادين ، عندما لمح النيران بالمصادفة ، فى أثناء رحلة صيد قريبة من هنا .

عقد رئيس الشرطة حاجبيه ، وقال فى توتر :

ـ أحد الصيادين ؟! .. من هو ؟! .. أريد بياناته كاملة .

هزّ رئيس الإطفاء رأسه ، قائلاً :

ـ ليست لدينا أية بيانات عنه .. لقد أبلغنا بالأمر ، وأنهى الاتصال على الفور .

صاح رئيس الشرطة فى غضب :

ـ وكيف تهملون الحصول على بياناته ؟! .. كيف تتركونه يرحل هكذا ؟

بدت الدهشة فى وجه رئيس الإطفاء وصوته ، وهو يقول :

ـ وماذا فى هذا ؟! .. المهم أن نلبى النداء ، لا أن نحصل على بيانات المبلغ .

بدا التوتر على رئيس الشرطة ، وهو يقول فى عصبية :

ـ ولكن ماذا لو .. ماذا لو .. لو أنه المسئول عن إشعال الحريق ؟!

تطلّع إليه رئيس الإطفاء فى شىء من الحيرة والقلق ، وهو يجيب :

ـ وهل كان سيطلق نداء الاستغاثة والحال هكذا ؟!

انعقد حاجبا رئيس الشرطة فى شدة ، وهو يتطلّع إلى الحطام الأسود ، وقبل أن تتصاعد موجة الغضب فى أعماقه ، سمع صوت المفتش (بابلو) من خلفه ، يقول :

ـ رباه !.. لقد احترق الكوخ عن آخره .

التفت إليه رئيس الشرطة فى سرعة ، وهتف محتدًا :

ـ (بابلو) .. أين كنت يا رجل ؟!

أجابه (بابلو) فى سرعة :

ـ لقد أتيت فور معرفتى بالأمر يا سيّدى .. ولكن قل لى : هل أصيب السنيور (زوكرمان) فى هذا الحريق المروّع ؟

قال الرئيس فى توتر :

ـ أعتقد هذا .. ولكن دعك من التفكير فى الأمر الآن ، فرجال المعمل الجنائى سيتأكّدون منه فى غضون ساعات محدودة ، المهم أن لدى مهمة لك الآن .

ثم جذبه جانبًا ، وقال فى انفعال هامس :

ـ اسمعنى جيدًا .. لقد أطلق أحد الصيادين نداء الاستغاثة ، وهذا يعنى أنه رأى النيران ، أو الحادث نفسه .

أدرك (بابلو) ما يشير إليه رئيسه ، ولكن تظاهر بالغباء ، وهو يسأل :

ـ وماذا فى هذا يا سيّدى ؟!

انعقد حاجبا الرئيس ، وقال فى عصبية :

قلت لك : اسمعنى جيدًا ، ولا أريد أية تعليقات حتى أنتهى .. لقد أطلق ذلك الصيَّاد النداء ، دون أن يدلى ببياناته ، وربما يعنى هذا أنه رأى شيئًا يخشى الإفصاح عنه .. والمطلوب منك أن تبحث عن هذا الصيَّاد .. راجع تراخيص الصيد ، واستجوب حرَّاس الغابة ، أو اعتقل حتى كل صيَّاد فى المنطقة كلها ، المهم أن تجد ذلك الرجل ، وتعرف ما الذى رآه بالضبط .. هل تفهمنى يا (بابلو) ؟

أومأ (بابلو) برأسه فى هدوء ، وهو يقول :

ـ تمام الفهم يا سيِّدى .

ثم اعتدل ، واستطرد فى حزم :

ـ والآن اسمح لى بالانصراف ، لتنفيذ أوامرك .

لوَّح الرئيس بيده ، قائلاً :

ـ بالطبع .. بالطبع .. انصرف يا (بابلو) ، وابذل قصارى جهدك للنجاح فى هذه المهمة .. هيا ..

استدار (بابلو) لينصرف ، وقد حملت شفتاه ابتسامة ساخرة كبيرة ، ولم يكد يبتعد بمسافة كافية ، حتى تمتم :

ـ آه لو تعرف أن الصيَّاد الذى تبحث عنه لا وجود له على الإطلاق .

قالها ، وعقله يسترجع تفاصيل تلك اللحظة ، التى أطلق فيها نداء الاستغاثة ، كجزء من خطة طويلة ، قرَّر أن يتصدَّى من خلالها للفساد الذى استشرى فى جهاز الشرطة المكسيكى ..

وكان هذا يعنى أن يخوض أعنف معركة فى حياته كلها ..

معركة لمواجهة رئيس الشرطة ..

ومن وراء رئيس الشرطة ..

وهنا يكمن الخطر الحقيقى ..

كل الخطر ..

★ ★ ★

« رباه ! .. ما هذا الشىء ؟! .. » .

انطلقت تلك الصيحة من بين شفتى رجل الشرطة ، الذى هرع مع ثلاثة من رجاله إلى ساحة الاستاد ، لمعرفة سبب هذه الانفجارات ، وهو يحدِّق ذاهلاً فى (جاك) ، الذى يحلِّق بزى (السوبرمان) على ارتفاع ثلاثة أمتار من سطح الأرض ، ويستعد لإطلاق صاروخه نحو (أدهم) ..

ومع تلك الصيحة ، التفت إليه (جاك) بحركة حادة ، فى نفس اللحظة التى انطلق فيها صاروخه ..

ووثب (أدهم) جانبًا بكل قوته ..

وعلى مسافة مترين فحسب منه ، انفجر الصاروخ ..

ومع الانفجار العنيف ، طار جسد (أدهم) فى الهواء لخمسة أمتار كاملة ، فى اتجاه مضاد لجثة (ويلى) ، ثم سقط مرتطمًا بالأرض فى عنف ، فى نفس الوقت الذى راح رجال الشرطة الأربعة يطلقون فيه رصاصاتهم نحو (جاك) ، ورئيسهم يهتف فى مزيج من الذهول والارتياع :

- أى شىء هذا بالضبط ؟! .. مخلوق لعين من الفضاء الخارجى ؟!

التفت إليهم (جاك) بجسده كله ، وهو يهتف غاضبًا :

- ابتعدوا أيها الأغبياء .. إنما أريد ذلك الرجل فحسب .

ولكنهم واصلوا إطلاق النار عليه ، وقد انضمّ إليهم اثنان آخران ، صاح الرئيس بأحدهما :

- اطلب نجدة يا رجل .. لقد رأيت كيف انطلقت منه تلك الصواريخ !

صرخ (جاك) فى غضب :

- فليكن .. أنتم أردتم هذا .

وبكل غضبه ، أطلق نحوهم رصاصات قفازه ، متجاهلاً حقيقة كونه أحد رجال المخابرات ، وليس أحد رجال العصابات ..



ومع الانفجار العنيف ، طار جسد (أدهم) فى الهواء لخمسة أمتار كاملة ، فى اتجاه مضاد لجثة (ويلى) ..

وأصابت رصاصات رجل المخابرات رجال الشرطة ، وحصدت اثنين منهم ، وأصابت الثالث بجراح متعدِّدة ، مما جعل الباقين يطلقون رصاصتهم فى عنف أكثر ، وهم يعدون للاحتماء بأى ساتر ممكن ، وأحدهم يصرخ طالبًا الإمدادات ، عبر جهاز الاتصال اللاسلكى ..

أما (أدهم) ، فقد استلقى جسده على الأرض فاقد الوعى والاتزان لدقائق ، قبل أن ينتفض فى عنف ، ويتطلَّع إلى المعركة الدائرة ، بين (جاك) ورجال الشرطة ..

كانت الآلام تنتشر فى كل شبر من جسده وبخاصة حول إصابات ضلوعه وفخذه وذراعه ، كما ارتطمت عشرات الشظايا الصغيرة بظهره ، مع انفجار الصاروخ ، ومزَّقت معطفه ، وأصابته بالعديد من الكدمات والسحجات ، التى تكفى آلامها لانهيار أى شخص عادى ..

ولكن ليس (أدهم) ..

ليس (رجل المستحيل) ..

لقد استنفر كل إرادته وقواه ، لينهض من سقطته ، ودفع قدميه دفعًا نحو جثة (ويلى) ، محاولاً التقاط مدفعه الصاروخى ، ولكن (جاك) استدار إليه فى اللحظة نفسها ، صاروخًا :

ـ قلت لك : لن تفلح .

ومرة أخرى ، أطلق نحوه صاروخًا جديدًا ..

وفى هذه المرة ، انفجر الصاروخ على مسافة متر واحد من (أدهم) ، الذى وثب إلى الأمام محاولاً تفاديه ..

وكانت الآلام رهيبة بحق ..

لقد دفعته موجة الانفجار إلى الأمام فى عنف ، واحترق ظهر معطفه مع لفحاته النارية ، واخترقت شظية ساقه اليسرى ، وهو يطير إلى الأمام ، ثم يهوى ليرتطم بالأرض ، ويتدحرج فوقها فى شدة ..

وتألَّقت عينا (جاك) ، وهو يهتف :

ـ هيا .. قل وداعًا لهذه الدنيا يا رجل .

قالها ، وهو يصوِّب آخر صواريخه إلى (أدهم) ، متجاهلاً رصاصات رجال الشرطة ، الذين أصابهم اليأس والذعر ، مع ارتداد رصاصاتهم عن زيِّه المقوَّى ، وبدا لهم أن ذلك الرجل ، الذى يصوِّب إليه (جاك) صاروخه هالك لا محالة ، و ..

ولكن فجأة ، دفع (أدهم) جسده دفعة أخيرة ، ووثب قرابة المترين إلى الأمام ، ليلتقط المدفع الصاروخى من يد (ويلى) ، الذى دفعه الانفجار الأخير إليه ، ثم يدور حول نفسه ، صارخًا :

ـ خذها منى أيها الوغد ..

وقبل أن يطلق (جاك) صاروخه بنصف الثانية ، انطلق صاروخ (أدهم) ..

واتسعت عينا (السوبرمان) الأمريكى ، وهو يصرخ :

ـ لا .. ليس الصاروخ .

ثم دوى الانفجار ..

وفى هذه المرة ، كان انفجارًا بشعًا بحق ..

لقد أصاب الصاروخ هدفه ، فى المنتصف تمامًا ، ثم انفجر معه بمنتهى العنف ..

وعلى مساحة واسعة ، تناثرت دماء (جاك) وأشلاؤه ، مع بقايا مشروع (السوبرمان) ، واستمر الدوى لثانية أو ثانيتين ، والدماء تمطر على الجميع ، قبل أن يسود صمت رهيب ، ورجال الشرطة يحدقون فيما حدث ، وفى تلك البقعة الحمراء الكبيرة ، التى غطت جزءًا من أرض الاستاد ، أسفل المكان الذى كان يحلق فيه (السوبرمان) بالضبط .

ثم شق (أدهم) ذلك الصمت المهيب ، وهو يلقى المدفع جانبًا ، ويقول :

ـ أنت خسرت أيها الوغد .

قالها ، ثم انهار جسده دفعة واحدة ، وهوى فاقد الوعى ، وكأنما استنزف ذلك الصراع كل طاقته حتى الفراغ ..

وفى دهشة ، حدق رجال الشرطة الباقون فيه ، ثم اندفعوا نحوه ، وانحنى رئيسهم يفحصه ، فى حين هتف أحد رجاله :

ـ رباه !.. لقد تعرفت هذا الرجل .. إنه (تيم بارتون) .. رجل المخابرات .. لقد رأيت صورته على شاشة (التليفزيون) .. يا إلهى ! .. هل لقى مصرعه ؟!

أجابه رئيسه فى انفعال :

ـ كلا .. إنه حىّ .. لقد فقد وعيه فحسب .

وفى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته ، كانت سيارة (هانكس) تتوقف أمام الاستاد الأوليمبى ، وقفز هو منها ، وهو يبرز شارته ، هاتفًا :

ـ أفسحوا الطريق أيها السادة .. أنا المفتش (هانكس) .. من المباحث الفيدرالية .

انعقد حاجبا (جيهان) فى توتر شديد ، عندما رأته يهرع إلى الاستاد ، وغمغمت :

ـ يبدو أن الأمور ستتعقد ثانية .

ثم تحركت فى خفة ، ودارت حول الاستاد ، ووثبت تتعلق بحاجز جانبى له ، قبل أن تقفز إلى الداخل ، وتتسلل فى سرعة إلى ساحته ..

ومن مكمنها ، رأت (جيهان) (هانكس) ينحنى ليفحص (أدهم) ، ورجل الشرطة يقول له فى حماس وانفعال :

ـ كان ينبغى أن ترى ما حدث ، لتدرك عظمة ما فعله هذا البطل ، قبل أن يفقد وعيه .. لقد هاجمنا ذلك المخلوق الفضائى ، وكاد يفتك بنا جميعًا ، ولكن مستر (بارتون) قفز يختطف المدفع ، و ...

قاطعه (هانكس) فى خشونة :

ـ أى مستر (بارتون) ؟!

أشار الشرطى إلى (أدهم) ، هاتفًا :

ـ (تيم بارتون) .. رجال مخابراتنا البطل .. ألم تره على شاشات (التليفزيون) يا رجل ؟! .. ياإلهى !.. لم أكن أصدق بطولاته التى يروونها ، حتى رأيت ما يفعله بنفسى ، و ...

قاطعه (هانكس) مرة أخرى فى خشونة أكثر ، تفوح منها رائحة الغضب :

ـ اصمت يا رجل ، واستدع سيارة إسعاف بسرعة .

اعتدل رجل الشرطة ، وقال فى حزم :

ـ لقد استدعيتها بالفعل .

ثم استعاد حماسته ، وهو يضيف :

ـ هل كنا سنترك البطل فاقد الوعى هكذا ؟!

التقى حاجبا (هانكس) فى غضب شديد ، وهو يتمتم :

ـ البطل ؟! .. اللعنة !

سأله الشرطى :

ـ ماذا تقول يا سيدى ؟

أجابه (هانكس) فى عصبية :

ـ لا عليك .. سننتظر جميعًا هنا ، حتى تصل سيارة الإسعاف .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى اتضح صوت بوق سيارة الإسعاف ، التى تقترب من المكان ، فهتف رجل الشرطة :

ـ ها هى ذى .

سرت فى جسد (جيهان) موجة عارمة من التوتر ، مع وصول سيارة الإسعاف ، وغمغمت فى عصبية :

ـ لا .. لا ينبغى أن أسمح لهم بإلقاء القبض عليه ثانية .. إننى أفضّل الموت على هذا .

قالتها وعادت أدراجها بأقصى سرعتها إلى خارج المكان ، ودارت مرة أخرى حول الاستاد ، حتى بلغت النقطة التى توقفت عندها سيارة الإسعاف ، ورأت رجلين يهبطان منها ، وهما يحملان محفة كبيرة ، ويهرعان إلى داخل الاستاد ، فى حين ظلّ السائق داخلها ، متأهبًا للانطلاق ، فانعقد حاجباها فى شدة ، وراح عقلها يبحث عن وسيلة لإنقاذ (أدهم) من قبضة (هانكس) ..

ثم برزت الفكرة فى رأسها بغتة ..

واستوعبها عقلها فى سرعة ..

واقتنع بها ..

ووضعها موضع التنفيذ ، دون إضاعة لحظة واحدة ..

وفى نفس اللحظة ، التى بدأت فيها تحركها ، كان (هانكس) يراقب رجال الإسعاف ، وهم ينقلون (أدهم) الفاقد الوعى على محفتهم ، قائلاً فى صرامة :

- سيصحبكم زميلى هذا فى سيارة الإسعاف ، وسيغلق أبوابها من الداخل بمنتهى الإحكام .. إنه إجراء أمنى حتمى .

هتف رجل الشرطة بكل حماسه :

- بالتأكيد .. لابد من حماية البطل .

عضّ (هانكس) شفتيه غيظًا وغضبًا ، وصرخ فى رجلى الإسعاف مفرغًا كل عصبيته وتوتراته :

- هيا .. أسرعا بالله عليكما .

أسرع الرجلان ينقلان (أدهم) إلى سيارة الإسعاف ، في حين قال (هانكس) لزميله فى صرامة ، وهما يتجهان بدورهما إلى الخارج :

- لا تسمح لأحد باستعادة (أدهم صبرى) قط .. لقد أوقعه الحظ بين أيدينا هذه المرة ، ولا يمكننا أن نضمن تكرار المصادفة .. ابذل قصارى جهدك يا رجل .. إنها فرصتنا الأخيرة لاستعادة سيطرتنا على الموقف ، وربما تكون الـ ...

لم يكن قد أتمّ عبارته بعد ، أو بلغ مع زميله سيارة الإسعاف ، التى استقر داخلها رجلا الإسعاف مع (أدهم) الفاقد الوعى ، عندما انطلقت السيارة بغتة ، وبسرعة كبيرة ، وقامت بمناورة مدهشة ، لتتجاوز اثنتين من سيارات الشرطة ، وإطاراتها تطلق صريرًا عنيفًا ، فاتسعت عينا (هانكس) ، وهتف فى حدة :

- اللعنة ! .. ما الذى يفعله هذا السائق الـ ..

بتر عبارته دفعة واحدة ، واتسعت عيناه أكثر وأكثر ، وهو يحدق فى سائق الإسعاف ، الذى وضعه أحدهم

فاقد الوعى ، إلى جوار سور الاستاد ، وصرخ فى غضب شديد ، وهو يعدو نحو سيارته :

ـ خدعة ! .. لقد خدعونا .. أسرع يا رجل .

قفز مع زميله إلى سيارتهما ، وانطلقا بها خلف سيارة الإسعاف ، ورجل الشرطة خلفهما متسع العينين فى دهشة ، ويغمغم فى حيرة :

ـ خدعة ؟!.. هل اختطفوا البطل ؟!

ثم تفجّر الغضب فى أعماقه ، وصرخ برجاله ، وهو يقفز داخل سيارته بدوره :

ـ أسرعوا يا رجال .. دعونا ننقذ بطلنا .

وفى المرآة الجانبية لسيارة الإسعاف ، رأت (جيهان) سيارة (هانكس) وسيارتين من سيارات الشرطة تطاردهما فى إصرار ، وأدركت وهى تطلق العنان للسيارة ، داخل شوارع (نيو آرك) ، أن هذه المطاردة ستكون أعنف مطاردة فى حياتها كلها ..

أعنفها على الإطلاق ..

★ ★ ★

صرخت كل خلية فى جسد المفتش (هانكس) بالغضب والسخط والثورة ، وهو ينطلق بسيارته خلف

سيارة الإسعاف ، وهتف بكل ما يعتمل فى نفسه من انفعالات :

ـ أراهن على أنها تلك اللعينة ، التى تحمل الجنسية السويسرية .. أراهن على أنها التى هربت بالسيارة .. كان ينبغى ألاّ نطلق سراحها قط .. تلك اللعينة !.. تلك الحقيرة .

تطلّع زميله فى شك إلى سيارة الإسعاف ، التى تنطلق بسرعة مخيفة ، مطلقة بوقها المميّز ، وسط شوارع المدينة شبه الخالية ، فى تلك الساعات من يوم الأحد ، وتابع تلك المناورات المعقّدة التى تقوم بها ، للفرار من مطارديها ، قبل أن يهزّ رأسه ، متمتمًا :

ـ ألأنت واثق من أن فتاة مثلها يمكن أن تقود سيارة كبيرة ، بمثل هذه البراعة والانتحارية ؟!

هتف (هانكس) ، وهو ينحرف بسيارته بزاوية حادة ، محاولاً اللحاق بسيارة الإسعاف :

ـ بالتأكيد .. إنها زميلة ذلك الشيطان (أدهم صبرى) ، ومن المؤكد أنه لن يختار زميلة عادية .

كانت (جيهان) ، فى تلك اللحظة ، تدور بالسيارة فى عنف ، وتقتحم بها أحد الشوارع الجانبية الضيقة ،

التى لا تكاد تتسع لمرورها ، ثم تنطلق بها وسط صفين من السيارات على الجانبين ، فانحرف (هانكس) بسيارته خلفها ، وارتطم بإحدى سيارات الجانبين ، قبل أن ينطلق خلفها ، وهو يُطلق سبابًا ساخطًا ، فهزّ زميله رأسه ثانية ، وزفر متمتمًا :

ـ عجبًا !! .. أية فتاة هذه ؟!

وكان محقًّا فى دهشته هذه ..

لقد انطلقت (جيهان) متجاوزة كل العقبات ، ومتحدية كل العوامل المنطقية ، فى سبيل الفرار من مطارديها ..

وفى سبيل هدف آخر ، بدا لها وكأنه الغرض من وجودها فى هذه الحياة ..

فى سبيل الرجل الذى أحبّته ..

الرجل الوحيد فى العالم أجمع ، الذى منحته قلبها ..

بل الذى منح قلبها نفسه إليه طواعية ، على الرغم من ثقته فى أنه غارق حتى النخاع فى حب سواه ..

نعم .. إنها تعلم جيدًا ، وتثق تمامًا بأن (أدهم صبرى) لم ولن يحب سوى زميلته القديمة (منى توفيق) ..

ولكن هذا لم يعد يغضبها كالسابق ..

بل لم يعد يعنيها إطلاقًا ..

إنها تحبه بكل كيانها وجوارحها ..

وستظل تحبه ، حتى آخر لحظة فى عمرها ..

حتى ولو لم يكن أبدًا لها ..

وها هى ذى تثبت هذا عمليًّا ..

إنها تقاتل فى سبيله مثلما لم تفعل من قبل .

وربما أكثر مما كانت ستفعله ، لو أنها هى المستهدفة من المطاردة ..

لقد انطلقت عبر الشارع الضيق بسرعة مخيفة ، ثم انحرفت فى نهايته إلى اليمين بحركة عنيفة ، على الرغم من أن مساره الطبيعى يتجه إلى اليسار ..

ومن خلفها دوى صوت ارتطام واحدة من سيارتى الشرطة بصف السيارات المتوقّفة على جانب الطريق ، وفى مرآتها رأت السيارة تثب فى الهواء لثلاثة أمتار ، قبل أن تسقط فوق عدد آخر من السيارات ، وتتدحرج خلف سيارة (هانكس) ، الذى انحرف خلفها بكل سرعته ..

وفى عكس الاتجاه الطبيعى ، انطلقت (جيهان) بسيارة الإسعاف ، وانطلق خلفها (هانكس) ، ومن خلفه ، وعلى مسافة كبيرة ، انطلقت سيارة الشرطة الثانية ..

وانحرفت (جيهان) ثانية بغتة ، وتجاوزت نهر الطريق بحركة مفاجئة ، على الرغم من صراخ إطارات السيارات ، التى توقّفت فى عنف ، وانطلقت أبواقها مستنكرة معترضة ..

ولأن الحركة مباغتة بالفعل ، لم يستطع (هانكس) التوقف ، أو الدوران خلف سيارة الإسعاف فى الوقت المناسب ، فتجاوز المنطقة التى عبرتها (جيهان) ، قبل أن يضغط فرامل السيارة ، ويدور بها فى حدة ، هاتفًا :

ـ يا للعينة !

ولكن السيارات التى عادت تتدفّق فى نهر الطريق ، اعترضت مساره ، فلوّح بشارته صارخًا :

ـ ابتعدوا أيها الأغبياء .. إنها مطاردة قانونية .. ابتعدوا .

استغرق منه الأمر بضع دقائق للسيطرة على الموقف ، والانطلاق مرة ثانية مع سيارة الشرطة خلف

(جيهان) ، التى استغلت تلك الدقائق لتميل بالسيارة فى شارع أخر ، ثم توقفها ، وتقفز منها لتفتح بابها الخلفى ، وتلوّح بمسدسها فى وجهى رجلى الإسعاف ، هاتفة فى صرامة :

ـ غادرا السيارة .. هيا .. أسرعا .

قفز الرجلان من السيارة ، وانطلقا يعدوان مبتعدين ، وهما لا يصدّقان نجاتهما من قبضتها ، فألقت هى نظرة على (أدهم) ، الذى لم يستعد وعيه بعد ، وهمست فى حنان دافق ، بدا عجيبًا للغاية فى مثل هذا الموقف :

ـ لا تقلق يا حبيبى .. لن ينالوا منك قط ، وأنا على قيد الحياة .

ثم أغلقت الباب فى إحكام ، وعادت تقفز إلى مقعد القيادة ، وتنطلق ثانية بالسيارة ..

ومن بعيد ، لمحها (هانكس) تدور حول الناصية ، فهتف بزميله :

ـ لقد أوقعنا بها يا رجل .. إنها تتجه نحو شارع مغلق .

وفى نفس اللحظة التى نطق فيها عبارته ، كانت (جيهان) قد انتبهت إلى هذه الحقيقة المفزعة ..

لقد أوقعت نفسها فى فخ ، دون أن تدرى ..

ولكن الحزم الشديد فى أعماقها ، لم يسمح لها بالاستسلام ، حتى فى مثل هذا الموقف العصيب ..

لقد انحرفت حتى أقصى يمين الشارع ، ثم أدارت عجلة القيادة إلى اليسار فى عنف ، فدارت بها السيارة بحركة حادة ، حتى أن إطاريها الأيمنين ارتفعا عن الأرض لبضعة سنتيمترات ، قبل أن يرتطم جانب السيارة بالأفريز المقابل ، ثم تنزلق ليرتطم جزء من مؤخرتها بالجدار ، قبل أن تنطلق مغادرة الشارع المغلق ..

وفوجىء (هانكس) بها تنقض عليه ، وهو يهمّ بالدخول إلى الشارع ، فانحرف بسيارته فى سرعة ، صارخًا :

ـ اللعنة !

ارتطمت سيارة الإسعاف بطرف سيارته فى عنف ، قبل أن تنطلق خارج الشارع ، فى حين دارت سيارته نصف دورة ، ثم نجح فى السيطرة عليها ، والتوقف بها بعرض الشارع ، فى نفس الوقت الذى فوجئت فيه سيارة الشرطة بسيارة الإسعاف فى مواجهتها مباشرة ، فانحرف بها سائقها بحركة حادة ، محاولاً تفادى الارتطام المباشر ، فوثبت سيارته ، واحتك جانبها الأيمن

كله بالجدار ، وهى تنطلق بسرعة كبيرة ، فتطايرت من الاحتكاك شرارات عنيفة ، قبل أن ترتطم المقدّمة بسيارة جانبية ، وتميل سيارة الشرطة كلها على نحو مخيف ..

أما سيارة الإسعاف ، فقد انطلقت بها (جيهان) ، لتدور حول منطقة الاستاد الأوليمبى ، فهتف (هانكس) فى سخط ، وهو يحاول الانطلاق بسيارته ثانية ، بعد أن توقّف محركها :

ـ لقد خدعتنا .. هل لمحتها ؟! .. كنت واثقًا من أنها هى .

ثم انطلق بالسيارة ، وهو يلتقط بوق جهاز اللاسلكى ، مستطردًا :

ـ هذا المسار الذى تتخذه ، يوحى بأنها فى طريقها إلى (جيرس سيتى) .. نداء إلى كل سيارات الشرطة .. نحن نطارد سيارة إسعاف ، فى طريقها إلى (جيرسى سيتى) .. اعترضوا طريقها على الفور ..أكرّر ..

لم تسمع (جيهان) هذا النداء ، الذى تردد فى كل سيارات الشرطة ، عبر موجة خاصة ، ولكنها أدركت بحسها الأمنى أن مطارديها سيدركون من مسارها أنها

تتجه نحو (جيرسى سيتى) ، لذا فلم تكد تتجاوز الكوبرى العلوى ، حتى انحرفت إلى اليمين ، وتجاوزت الطريق الرسمى ، ثم إلى اليسار ، و ...

وفجأة ، وجدت أمامها طفلة صغيرة ، تلهو بدميتها خلف منزلها ، مطمئنة إلى أن السيارات لا تأتى إلى هذا المكان قط ..

وبكل قوتها ، ضغطت (جيهان) فرامل سيارتها ، ومالت بها إلى اليمين فى عنف ، وصرخت الطفلة فى فزع ، و ..

وفقدت السيارة توازنها ..

وعلى الرغم من محاولتها المستميتة ، لم تنجح (جيهان) فى استعادة سيطرتها على السيارة ، التى ارتفع جانبها الأيسر على نحو مخيف ، ثم انقلبت ، وراحت تزحف على جانبها الأيمن فوق العشب ، قبل أن تتوقف تمامًا ..

ودون أن تمنح نفسها لحظة واحدة للاطمئنان على موقفها ، دفعت (جيهان) باب السيارة ، وقفزت منها ، ودارت حولها وقلبها يصرخ فى ارتياع :

ـ رباه ! .. (أدهم) .. (أدهم) ..

وفتحت باب السيارة الخلفى فى توتر شديد ، وارتفع حاجباها فى دهشة بالغة ، عندما رأت (أدهم) أمامها ، ينهض فى تهالك ، والدماء تنزف من جرح جبهته ، ولكنه ، وعلى الرغم من هذا ، يبتسم بشفتين مرهقتين ، وهو يتمتم :

ـ آه .. كان ينبغى أن أدرك أنه أنت !.. من غيرك يمكن أن يحوّل سيارة إسعاف إلى دبّابة ؟!..

قفزت داخل السيارة ، هاتفة :

ـ حمدًا للّه على سلامتك ..

استند إلى كتفها ، وهو يحاول الخروج من السيارة ، قائلاً فى سخرية :

ـ أعتقد أننى أوّل شخص فى العالم يستعيد وعيه ، عندما تنقلب به سيارة إسعاف .. أخبرينى يا زميلتى العزيزة .. من يطاردك بالضبط ؟! .. الجيش الأمريكى ؟!

انفرجت شفتاها لتجيب ، عندما أطل وجه رجل وسيم له شارب كث ، وعينان يطلّ منهما القلق واللهفة ، وهتف :

ـ ماذا حدث ؟!.. أأنتما بخير ؟!

كانت لهجته أمريكية تمامًا ، إلا أن (أدهم) ، ولسبب ما ، أجابه بالعربية ، وبلهجة مصرية خالصة :

- إننا لم نمت على الأقل .

ارتفع حاجبا الرجل فى دهشة ، وهتف بدوره بلهجة مصرية :

- ألنتما مصريان ؟!

أشارت (جيهان) إلى سيارة (هانكس) ، التى بدت من بعيد ، وهى تجيب فى لهفة وسرعة :

- إننا من المخابرات المصرية .

انعقد حاجبا الرجل فى شدة ، وبدت عليه علامات الفهم السريع ، وهو يشير بيده قائلاً فى اقتضاب :

- أسرعا .

تبعاه فى خطوات مجهدة إلى سيارته ، فألقى نفسه أمام عجلة القيادة ، وهو يشير إلى مقعد السيارة الخلفى ، قائلاً فى حزم :

- اخفضا رأسيكما .

وفى نفس اللحظة التى ظهرت فيها سيارة (هانكس) عند الناصية ، انطلق الرجل بسيارته فى هدوء وهو يهمس :

- لا يمكننا الانطلاق بسرعة ، وإلا أثرنا شكوكهم .

إلا أن (هانكس) انحرف نحوه بسيارته بغتة ، وصاح فى صرامة ، وهو يشير إليه بشارته :

- توقف يا رجل .

وأصبح من الواضح أن هذه المحاولة لم يُكتب لها النجاح ..

أو أنها قد فشلت ..

تمامًا .





٣ ـ الفشل ..

فغر الجنرال (جيمى تورنسول) فاه ذاهلاً ، وهو يحدّق فى كومة الحطام والدماء والأشلاء ، التى تبقّت من (جاك) ومشروع (السوبرمان) ، وارتجف جسده كله فى انفعال عارم ، وهو يتمتم :

ـ مستحيل !.. مستحيل أن يكون مشروع (السوبرمان) قد فشل فى القضاء على ذلك الرجل !.. مستحيل !

احتقن وجه مندوب وزارة الدفاع ، الذى اصطحبه إلى الاستاد ، وقال فى غضب عصبى :

ـ إنها كارثة يا جنرال .. كارثة .. هل تعلم ما الذى سيؤدى إليه هذا .. البنتاجون(*) سيرفض الاستمرار فى تمويل المشروع ، وسيتهمون الوزير بالإهمال وعدم تقدير المسئولية ، لأنه غامر بتجربة المشروع ضد رجل واحد .. والأدهى أن هذا لم يحدث فى ساحة تدريب ، أو حتى فى دولة من دول العالم الثالث ، وإنما حدث فى

(*) البنتاجون : المؤسسة العسكرية الأمريكية .

قلب مدينة كبيرة ، مما عرّض الأشخاص والمنشآت لخطر ليس له ما يبرّره .. هذا سيستثير الكونجرس(*) ، والصحافة ، وكل الجهات المسئولة ضدنا .. إنها كارثة حقيقية !

ظلّ (تورنسول) يحدّق فى الحطام وبقعة الدم لحظات أخرى ، قبل أن يقول دون أن يفارقه ذهوله :

ـ ولكن (أدهم صبرى) هذا ليس رجلاً عاديًا .. انظر أمامك ، وستدرك ما أعنيه .. لقد نسف مشروع (السوبرمان) ، الذى لم تنجح فصيلة كاملة فى التصدّى له !! .. هل رأيت فى حياتك كلها شيئًا كهذا ؟!

اعتدل مندوب وزارة الدفاع ، وهو يقول فى صرامة :

ـ الأمر تجاوز هذه الحدود العاطفية يا جنرال .. لقد لقى اثنان من رجال الشرطة مصرعهما ، بسبب هذه المواجهة ، والثالث سيلحق بهما بسبب إصاباته الفادحة ، وهذا سيفجّر غضب الشرطة كلها بالتأكيد ، وتساؤلات الصحافة ، وستكون هناك استجوابات ، وتحقيقات ، على كل المستويات ، ولن يكون من السهل أبدًا إخفاء

(*) الكونجرس : السلطة التشريعية فى الحكومة الاتحادية الأمريكية .

الحقائق ، وخاصة لو صدرت تعليمات بالتشدُّد فى بحث الأمر ، ونادى الكونجرس بتقصّى الحقائق .. أنت تدرك ما يمكن أن يؤدى إليه كل هذا .

التقى حاجبا (تورنسول) ، وأطلّت من عينيه نظرة شديدة التوتر ، وهو يقول :

ـ ما الذى ترمى إليه بالضبط ؟!

أشار الرجل إلى كومة الحطام ، مجيبًا فى صرامة :

ـ أعنى أن هذا الفشل كلّف دافعى الضرائب عدة ملايين من الدولارات ، ولابد أن يكون هناك شخص مسئول عن كل هذا .

توتّر (تورنسول) أكثر وأكثر وهو يقول فى عصبية :

ـ وزير الدفاع شخصيًا وافق على استخدامى لمشروع (السوبرمان) ، و ...

قاطعه الرجل فى حزم يحمل شيئًا من البرود :

ـ وهل منحك موافقة مكتوبة ؟!

احتقن وجه (تورنسول) ، وهو يقول :

ـ فى عالم القادة لا يحتاج الأمر إلى موافقات مكتوبة ، أو توقيعات سخيفة .. الرجل أعطانى كلمته ، وتحمل مسئولية الأمر ، و ...

قاطعه الرجل مرة أخرى فى استنكار صارم :

ـ مسئولية الأمر ؟! .. معذرة يا جنرال ، ولكن المسئولية كلمة كبيرة ، فى مثل هذه الظروف ، وهى تحتاج حتمًا لما يؤكدها ، حتى ولو كانت بين رؤساء الدول أنفسهم .

رمقه (تورنسول) بنظرة طويلة ، قبل أن يسأل بلهجة من يتوقع شرًّا :

ـ ما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟!

هزّ الرجل كتفيه ، مجيبًا :

ـ يعنى أنه عند بدء التحقيقات الرسمية ، لن يضحّى السيد الوزير قط بمستقبله من أجل أحد الجنرالات ، الذى تملّكه الغضب وسيطرت عليه روح الانتقام ، فسرق أحد المشروعات البالغة السرية ، ليحقق بها انتقامًا فرديًّا .

هتف (تورنسول) :

ـ سرق ؟!

أجابه الرجل بسرعة :

ـ بالتأكيد .. أنت لم تحصل على موافقة مكتوبة ، لاستخدام مشروع (السوبرمان) ، وحارس المخزن الخاص سيشهد بأنك هددته بمسدسك لتحصل على المشروع ، و ...

قاطعه (تورنسول) هذه المرة ، وهو ينقضّ عليه ، صارخًا :

- أيها الأوغاد .. أيها الحقراء .

تفادى الرجل المدرَّب انقضاضته فى مهارة مدهشة ، ومال جانبًا ، ثم هوى على فكه بلكمة قوية ، قائلاً :

- معذرة مرة أخرى يا جنرال .

سقط (تورنسول) أرضًا ، مع عنف اللكمة ، فاعتدل الرجل ، وعدَّل رباط عنقه ، وهو يستطرد :

- ولكننى مضطر .. كلنا مضطرون .

تحسَّس (تورنسول) موضع اللكمة ، وهو يقول فى مرارة :

- إذن فقد صنعتم منى كبش فداء .

هزَّ الرجل كتفيه ، وقال :

- أنت تعلم أنك المسئول الحقيقى عن كل ما حدث يا جنرال ، وهذه النهاية تحقِّق العدل للجميع ..

وتنهَّد فى أسف مصطنع ، مستطردًا :

- وكما أخبرتك ، ستكون هناك تحقيقات ، واستجوابات ، وفضائح .. يا للخسارة !.. إنه تدمير لتاريخك كله يا جنرال .

دمعت عينا (تورنسول) ، وهو يغمغم فى مرارة :

- ألا توجد وسيلة لتفادى كل هذا ؟!.. لقد قدمت خدمات عديدة للوطن ، ومن حقى أن أحصل على استثناء ما .

أطلَّت نظرة ظافرة من عينى الرجل ، وهو يقول :

- بالتأكيد .

ثم أخرج مسدسًا من جيب معطفه فى حرص ، وألقاه إليه ، مستطردًا :

- بالمصادفة كنت أحمل مسدسك فى جيبى ، وخزانته تحوى رصاصة واحدة .

تطلَّع (تورنسول) إلى المسدس فى مرارة ، وهو يقول :

- وهل سأضطر لتوقيع خطاب اعتذار يبرِّر هذا ؟!

هزَّ الرجل رأسه نفيًا ، وقال بصوت لا يحمل أية مشاعر :

- لن تضطر لأى شىء ..

أومأ (تورنسول) برأسه متفهمًا ، وانحدرت دموع القهر والمرارة من عينيه ، فربَّت الرجل على كتفه ، وهو يقول بتعاطف مفتعل :

- صدقنى يا جنرال .. هذا أفضل ما تفعله .

ثم أولاه ظهره ، وابتعد فى خطوات هادئة ، مضيفًا فى حزم :



تطلّع (تورنسول) مرة أخرى إلى المسدس ، وامتدّت أصابعه المرتجفة إليه ..

ـ والقرار لك وحدك يا جنرال .

تطلّع (تورنسول) مرة أخرى إلى المسدس ، وامتدّت أصابعه المرتجفة إليه ، و ...

وبرقت عينا مندوب وزارة الدفاع فى ظفر ، عندما دوت الرصاصة فى قلب الاستاد ، لتضع نهاية لفصل آخر من فصول اللعبة ..

لعبة الخطر ..

والموت ..

★ ★ ★

سرت موجة عنيفة من التوتر فى جسد (جيهان) ، وقبضت على مسدسها فى قوة ، عندما خفض المصرى من سرعة سيارته ، وأعطى إشارة تفيد استعداده للتوقُّف ، استجابة لإشارة (هانكس) ، فى حين غمغم (أدهم) وهو يقاوم الدوار الشديد ، الذى أحاط برأسه :

ـ يبدو أننا سنضطر للقتال مرة أخرى يا زميلتى العزيزة .

ولكن المصرى قال فى حزم :

ـ اطمئنا .. لن تضطرا لهذا .

قالها ، وضغط دوّاسة الوقود بغتة ، فوثبت سيّارته نحو سيارة (هانكس) ، التى تستعد للتوقُّف إلى جواره ..

وفى عنف ، ارتطمت سيارته بمقدمة سيارة (هاتكس) ، قبل أن ينحرف بها فى حركة حادة ماهرة ، وينطلق مبتعدًا بأقصى سرعة .

وكانت مفاجأة مدهشة لـ (هاتكس) ، الذى هتف فى غضب :

ـ اللعنة ! .. ماذا أصاب الجميع ؟

أما زميله ، فقد استلّ مسدسه ، وقفز خارج السيارة ، ليطلق النار على سيارة المصرى ، التى ابتعدت ، وابتعدت ، وابتعدت ..

وبداخلها ، هتفت (جيهان) فى حماس :

ـ رائع .. تصرّف رائع يا رجل .. لقد باغتتهم تمامًا .

ابتسم المصرى ، وهو يقول :

ـ يسعدنى أن هذا قد راق لك .. وبالمناسبة .. اسمى (السيد الشرقاوى) .. مصرى .. أقيم وأعمل كمترجم هنا فى (نيو جيرسى) .. ولن أسأل عن اسميكما بالتأكيد ، فأنا أعلم أن هذه المعلومات تندرج أحيانًا تحت بند السرية المطلقة .

اعتدل (أدهم) ، وقاوم شعوره بالإعياء ، وهو يقول :

ـ ولكن ما فعلته سيعرّضك لبعض المشكلات بالتأكيد .

أطلق (السيّد) ضحكة مرحة ، وهو ينحرف بالسيارة إلى طريق فرعى صغير ، ويواصل الانطلاق بأقصى سرعة ، قائلاً :

ـ ليس لدى أدنى شك من هذا ؛ فهذه السيارة ملك لزوجتى (إليانا) ، ولقد حذّرتنى من خدشها ، قبل أن تعيرنى إياها ، ويمكننى أن أتخيّل ما ستفعله ، عندما تشاهد الإصابة فى مقدّمتها .

ابتسم (أدهم) لدعابته ، وقال :

ـ كنت أقصد رجال الشرطة والمباحث الفيدرالية .

أجابه (السيّد) فى مرح :

ـ لا عليك .. إنهم أقل خطرًا بالتأكيد ، فأى متهم عندهم له حقوق مدنية على الأقل ، ثم إننى سأدّعى أنكم كنتم تهددوننى ، وأننى كنت مضطرًا لفعل ما فعلته .

قالها ، و (جيهان) تلقى نظرة خلفها ، لتراقب الطريق فى قلق ، قبل أن تقول :

ـ يبدو أن الاصطدام أصاب سيارة الآخرين بعطب ما .. لست ألمحهم خلفنا .

أجابها المصرى فى اهتمام :

ـ إنهم من رجال الشرطة ، ويحفظون المنطقة بكل تأكيد ، وسينطلقون فى مسار آخر ، لقطع الطريق أمام سيارتى ، عند مدخل (جيرسى سيتى) .

ثم أوقف السيارة بغتة ، مضيفًا فى حزم :

ـ وهذا يعنى أنه ينبغى أن نتوقَّف هنا .

اعتدلت (جيهان) ، قائلة :

ـ آه .. بالطبع .. نحن نقدِّر موقفك ، ونشكر لك شجاعتك ومعاونتك لنا ، و ..

قاطعها الرجل بسرعة :

ـ دعى هذا لما بعد يا سيِّدتى ، فالوقت أضيق من أن نضيعه فى مثل هذه المجاملات .. معذرة لأسلوبى الفظ ، ولكن استمعا إلىَّ جيدًا .. عندما أبتعد عن هذا المكان ، انتظرا حتى أختفى عند تلك الناصية هناك ، ثم اتجها شرقًا إلى (جيرسى سيتى) ، وستجدان هناك مطعمًا للأسماك ، يمتلكه ويديره رجل مصرى ، يُدعى الحاج (حسن) ، وهو من أبناء (السويس) ، الذين قاتلوا المحتلين قديمًا ، وشاركوا فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ م ، أخبراه أنكما مصريين ، وأنكما صديقان لى ، وسيمنحكما كل معاونة ممكنة .. هل استوعبتما هذا ؟

أجابه (أدهم) فى حزم ، على الرغم من الضعف الشديد الذى يشعر به :

ـ بالتأكيد .

تنهَّد الرجل ، وصافحهما فى حرارة ، مغمغمًا :

ـ وفقكما الله (سبحانه وتعالى) .

وعندما انطلق بسيارته مبتعدًا ، لم تفارق عيناه صورتهما المنعكسة فى المرآة الجانبية ، حتى اختفى عند الناصية ، ولمح سيارة (هانكس) التى تندفع نحوه من بعيد ..

وعلى الرغم من دقة موقفه ، اختلج قلبه فى ارتياح ، وهو يوقف سيارته ، فى انتظار وصول مفتش المباحث الفيدرالى الغاضب ..

ولم يشعر بأدنى قدر من الخوف أو القلق ..

فقط شعر بالفخر ..

كل الفخر ..

هذا لأنه فعل اليوم شيئًا من أجل وطنه الحقيقى .. من أجل (مصر) ..

★ ★ ★

« لقد نجا يا سنيورا .. أقسم لك إننى فعلت كل ما بوسعى ، ولكنه نجا .. » .

نطق (بل هايدن) عبارته هذه فى توتر عنيف ، نقلته أسلاك الهاتف إلى أذنى السنيورا ، التى كادت تعتصر سمّاعة الهاتف بأصابعها الغاضبة ، وهى تهتف :

ـ نجا ؟! .. مستحيل !.. هل أتعامل دومًا مع أغبياء متقاعسين ؟! .. ماذا دهاك ؟.. بل ماذا دهاكم جميعًا ! .. لماذا يفشل كل من أتعامل معه ؟!

ازدرد (هايدن) لعابه فى صعوبة ، وهو يقول :

ـ هذا الرجل ليس بشريًا يا سنيورا .. إنه شيطان .. شيطان حقيقى .. والحظ يخدمه على نحو لايمكنك تصوّره !.. لقد نجا من صاروخ أطلقه عليه (ويلى) ، من طائرة هليوكوبتر ، وأسقط الطائرة نفسها .. هل تتصورين هذا ؟! .. رجل منفرد يسقط طائرة هليوكوبتر!! .. وليس هذا فحسب ، فقد قتلت زميلته (جاكسون) ، وكاد هو يفتك بـ (توم) ، الذى أوشك على الاعتراف له بكل شىء .

اختنق صوتها ، وهى تقول بعصبية شديدة :

ـ أوشك أم ...

قبل أن تتم تساؤلها ، اندفع يهتف :

ـ لم يقل شيئًا يا سنيورا .. أقسم لك إنه لم يفعل .. لقد أطلقت النار عليه قبل أن يبلغ ذلك المصرى بمعلومة واحدة .

هتفت فى غضب هادر :

ـ ولماذا لم تطلق النار على (أدهم) نفسه أيضًا ؟!

أجابها متوترًا :

ـ لقد حاولت .. أقسم لك إننى حاولت ، ولكن ذلك الشيطان يتحرّك بسرعة مذهلة ، ثم إن ظهور ذلك الشىء أربكنى بحق .

سألته فى حدة :

ـ أى شىء هذا ؟

بدا الاضطراب واضحًا فى صوته ، وهو يجيب :

ـ لست أدرى يا سنيورا .. إنه شىء أشبه برائد فضاء ، أو مخلوق من كوكب آخر ، أو ...

قاطعته فى غضب :

ـ ماذا أصابك يا رجل ؟! .. أى هراء هذا ؟! .. إننا نحيا على أرض الواقع ، ولسنا ممثلين هزليين فى فيلم سخيف ، من أفلام الخيال العلمى .

هتف (هايدن) :

- ولكن ما أرويه لك حقيقى يا سنيورا ، ولم أشاهده وحدى .. لقد شاهده معى رجال الشرطة أيضًا .. رائد فضاء مخيف ، يطلق الصواريخ والرصاصات ، ويطير على ارتفاع ثلاثة أمتار عن الأرض ، بوساطة صواريخ دافعة خلف ظهره .. لقد ظهر فى الاستاد فجأة ، وهاجم (أدهم صبرى) هذا ..

سألته فى توتر وعصبية :

- وماذا فعل معه ؟!

أجابها (هايدن) فى انفعال :

- لن يمكنك تصديق هذا يا سنيورا .. لقد نجح ذلك الشيطان المصرى فى نسفه .. سحقه سحقًا ، على الرغم من أن كومة من رجال الشرطة قد عجزت عن التصدّى له .

صرخت فى غضب :

- اللعنة ! .. اللعنة ! .. اللعنة !

ثم أنهت الاتصال فى عنف ، دون أن تبالى بوجود (هايدن) على الطرف الآخر للخط ، والتقطت علبة سجائرها ، لتشعل سيجارة فى عصبية بالغة ، وتنفث دخانها كالحمم ، هاتفة فى سخط :

- لقد نجا مرة أخرى .. (أدهم صبرى) نجا مرة أخرى .. ما الذى ينبغى أن أفعله ؛ لتدمير هذا الرجل ؟! .. هل ألقى قنبلة نووية على (نيويورك) كلها لأنسفه ؟!

غمغمت مساعدتها فى حذر :

- هذا سيبدو أشبه بحرق منزل فاخر ، لقتل قط اختفى داخله .

استدارت إليها السنيورا فى حدة ، وصرخت فى غضب :

- لا شأن لك بهذا .

تراجعت المساعدة فى خوف ، وهى تتمتم :

- معذرة يا سنيورا .. معذرة .. لم أقصد هذا .

نفثت السنيورا دخان سيجارتها مرة أخرى ، ولوّحت بذراعها ، هاتفة :

- هناك خلل ما .. هناك خلل ما حتمًا .. لقد استعنت بأفضل المحترفين فى كل المجالات ، دون أن أنجح فى التخلّص منه .. لا يمكن أن يكون بهذه القوة .. إنه مجرَّد بشر .. مجرَّد بشر .

ثم التفتت إلى مساعدتها ، تسألها فى عصبية :

- هل تعتقدين أننى أخطأت التصرُّف على نحو أو آخر ؟

ارتبكت المساعدة ، وحاولت أن تقول شيئًا ما ، ولكن الخوف ألجم لسانها ، فصاحت بها السنيورا فى غضب :

ـ لقد ألقيت عليك سؤالاً محدودًا .

انتفض جسد المساعدة ، وهى تقول فى خوف :

ـ لا يا سنيورا .. لست أعتقد أنك ارتكبت أية أخطاء .

انعقد حاجبا السنيورا ، ونفثت دخان سيجارتها فى عصبية ، قبل أن تغمغم :

ـ هذا رأيى أيضًا .

ثم عادت تلوّح بذراعها ، مستطردة فى حدة :

ـ لماذا لم أحقق النجاح إذن ؟!.. لماذا لم أنجح فى التخلّص من (أدهم صبرى) حتى الآن ؟!

قالتها ، واتجهت نحو النافذة ، ووقفت تتطلّع عبرها إلى حوض السباحة فى صمت ، وهى تنفث دخان سيجارتها فى عصبية وتوتر شديدين ، فازدردت مساعدتها لعابها ، واستجمعت شجاعتها ، لتقول متردّدة :

ـ سنيورا .. لو أذنت لى ، فأنا أعتقد أنك تمتلكين سلاحًا بالغ القوة ، فى مواجهة (أدهم صبرى) هذا .

استدارت إليها السنيورا بعينين متسائلتين ، فأضافت بسرعة :

ـ زميلته .

انعقد حاجبا السنيورا فى شدة ، وقالت فى صرامة :

ـ زميلته هى خط دفاع أخير فى مواجهته ، عندما تتعقّد الأمور .

قالت المساعدة فى سرعة :

ـ ولماذا لا تصبح سلاح هجوم أيضًا ؟

ثم استدركت فى خوف :

ـ إنه مجرد اقتراح .

انعقد حاجبا السنيورا فى شدة ، وبدت على ملامحها إمارات التفكير العميق لدقائق ، قبل أن ترفع أحد حاجبيها ، وتقول فى حزم :

ـ ولم لا ؟!

ثم اتجهت فى حماس مفاجئ إلى الهاتف ، والتقطت سمّاعته ، وطلبت رقمًا خاصًا ، ثم قالت :

ـ أنا السنيورا .. أرسل لى مصورًا محترفًا على الفور .. أريد التقاط بعض الصور ، وأريدها أن تخرج فى أفضل شكل ممكن .

واستعادت شفتاها الجميلتان ابتسامتها الواثقة ، وهى تضيف :

ـ نعم .. لم أفعل هذا قط من قبل ، ولكننى أبدأ الآن مرحلة جديدة فى حياتى ، ولكل مرحلة أسلوبها المميّز .

قالتها ، وهى تعنى كل حرف منها ..

إنها تبدأ بالفعل مرحلة جديدة من صراعها مع (أدهم صبرى) ..

مرحلة حازمة ..

وحاسمة ..

وأخيرة ..

★ ★ ★



٤ ـ صورة ..

فرك المفتش (هانكس) عينيه فى إرهاق شديد ، مع مطلع فجر اليوم التالى ، قبل أن يتطلع إلى (السيد الشرقاوى) ، الذى بدا عليه إرهاق مماثل ، ويقول :

ـ إذن فأنت تصرّ على أنك كنت مضطرًا لفعل ما فعلت ، وأنك لم تقصد مهاجمة سيارتى ، أو معاونة هاربين على الفرار .

أجابه الرجل فى هدوء :

ـ تمام الإصرار ، ومازلت أصرّ أيضا على الاتصال بمحامىَّ الخاص ، وعلى أنكم تهدرون حقوقى القانونيّة ، باستجوابى دون حضوره .

انعقد حاجبا (هانكس) فى غضب ، وهو يقول :

ـ قل لى يا رجل : هل تعلم أنك لم تحصل بعد على جنسية أمريكية ، وأنك ما زلت تحمل البطاقة الخضراء فحسب ؟!

مال (السيِّد) إلى الأمام ، وأجابه فى برود مستفز :

ـ وهل تعلم أنت أن هذا لا يُفقدنى حقوقى القانونية ؟

تراجع (هانكس) بمقعده فى غضب ، ورمق الرجل بنظرة نارية ، قبل أن يشير إلى باب الحجرة قائلاً فى حدة :

- هيا .. اخرج من هنا .. استفد بحقوقك القانونية ، وعد إلى منزلك ، ولكن ثق بأنك لن تبتعد عن بصرنا قط .

نهض الرجل فى هدوء ، وغادر المكان قائلاً :

- أشكرك .. هذا يمنحنى حماية مجانية على الأقل .

عض (هانكس) شفته السفلى فى غيظ ، وهو يدق سطح المنضدة بقبضته ، هاتفًا :

- اللعنة ! .. اللعنة !

سأله زميله ، وهو يشير إلى الباب الذى غادره (السيِّد) :

- هل نرسل أحدهم خلفه ؟

صاح به (هانكس) فى حدة :

- بالتأكيد .. هل تسألنى يا رجل ؟!

أسرع الرجل ينفذ الأمر ، فى حين التفت زميل آخر إلى (هانكس) ، قائلاً :

- هل تعتقد أنه تربطه بهما صلة ما ؟

هزَّ (هانكس) رأسه ، قائلاً :

- احتمال ضئيل ، ولكن لا يمكننا استبعاده .. إنه مصرى مثلهما .

ثم نهض من مقعده ، ووقف يراقب شروق الشمس لبضع دقائق فى صمت ، قبل أن يتابع فى توتر ملحوظ :

- ولكن أيًا كانت الحقيقة ، فقد اختفى (أدهم صبرى) وزميلته تمامًا ، وفشلت كل محاولاتنا للبحث عنهما ، فى (نيوجيرسى) و (نيويورك) ، مما يكاد يصيبنى بالجنون .

تردَّد زميله لحظة ، قبل أن يقول :

- لو أردت رأيى بصراحة يا (هانكس) ، فأنت تتعامل مع الأمر من منطلق التحدى الشخصى فحسب ، وليس من منطلق البحث عن الحقيقة .

التفت إليه (هانكس) بحركة حادة ، قائلاً :

- ماذا تعنى ؟

أجابه زميله بسرعة :

- إنك تتجاهل اعتراف (بيرت) ، وكل ما قاله (أدهم صبرى) ، حول ضرورة البحث عن الأسباب الحقيقية لاغتيال (رالف أيدن) وخيانة (مايكل فريمان) ، ولا تحاول ربط كل هذا بعملية اختطاف السفير المصرى فى (واشنطن) ، ومن رأيى أنك لو توقَّفت بعض الوقت

عن مطاردة (أدهم) هذا ، ولو لالتقاط بعض أنفاسك ، وأوليت اهتمامك لتلك الأمور ، وحاولت العثور على الخيط الذى يربط بعضها ببعض ، فربما تحقق نصرًا أكبر .

انعقد حاجبا (هانكس) فى صمت ، وانطلق عقله يفكر جديًا فيما قاله زميله ، إلا أنه ، وعلى الرغم من كل محاولاته ، لم يستطع طرد سؤال محدود ، ظلَّ يتردد فى عقله بإلحاح مستفز ..

أين (أدهم صبرى) الآن ؟!..

أين ؟! ..

أين ؟! ..

★ ★ ★

تنهَّد (ناشد) ، مندوب المخابرات المصرية فى (نيويورك) ، فى عمق ، وهو يسترخى فوق مقعد وثير ، إلى جوار نافذة منزل آمن جديد ، فى قلب مدينة ناطحات السحاب ، ثم تثاءب مرتين ، قبل أن يلتفت إلى الملحق الطبى المصرى ، ويسأله :

ـ هل تعتقد أنه بخير الآن ؟!

أومأ الملحق الطبى برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ بإذن الله (العلى القدير) .. لقد عالجت جراحه كلها ، واستخرجت شظية من ساقه اليسرى ، وكل شىء الآن على ما يرام .. صحيح أنه فقد بعض الدماء ، إلا أنه قوى البنية ، ويمكن لجسده أن يستعيد نشاطه بعد بضع ساعات من النوم العميق .

انطلقت من صدر (جيهان) تنهيدة ارتياح ، وغمغمت :

ـ حمدًا لله .. حمدًا لله .

وأسبل (ناشد) جفنيه بضع لحظات فى ارتياح ، قبل أن يعاود فتحهما ، وهو يسأل الطبيب فى اهتمام :

ـ هل سيحتاج إلى رعاية طبية أخرى ؟

هزَّ الملحق الطبى كتفيه ، وقال :

ـ سيحتاج إلى تنظيف الجروح يوميًا ، والأفضل ألاَّ يبذل الكثير من الجهد ، فى هذه المرحلة ، وأن ...

قاطعته (جيهان) فى حزم :

ـ يمكنك نسيان هذا .

التفت إليها الملحق الطبى فى دهشة متسائلة ، فتابعت :

ـ (أدهم) لن يهدأ قبل أن يتم مهمته ، ويصل إلى هدفه ، و ...

توقفت لحظة ، لتزدرد لعابها فى صعوبة ، محاولة السيطرة على انفعالها ، قبل أن تكمل :

- ويستعيد (منى) .

مطّ الملحق الطبى شفتيه فى عدم ارتياح ، وقال فى شىء من الضجر :

- يمكننى استيعاب هذا ؛ فقد سئمت التعامل مع رجال المخابرات هؤلاء .. إنهم لا ينصاعون قط لتعليمات الأطباء .

غمغم (ناشد) ، وشفتاه تحملان شبح ابتسامة :

- لو أنك فى موضعهم ، لوجدت نفسك مضطرًا لفعل ما يفعلون .

حاول الملحق الطبى أن يبتسم بدوره ، وهو يقول :

- ربما ، ولكن للجسد البشرى قدرته على الاحتمال ، ومهما بلغت هذه القدرة ، فهى ..

لم يكن قد أتمّ عبارته بعد ، عندما انطلق رنين جرس الباب بغتة ، فوثبت (جيهان) من موضعها ، وهى تستلّ مسدسها ، فى حين هبّ (ناشد) من موضعه ، وجذب مسدسه من حزامه ، ودفع الملحق الطبى جانبًا ، وهو يقول فى حزم :

- احتم بهذه الأريكة يا سيدى .

قالها ، وسبق (جيهان) إلى الباب ، وهو يقول :

- من بالباب ؟!

أتاه صوت مألوف ، يجيب :

- هل يمكننى الاتصال بصديقتى فى (لوس أنجلوس) ؟!

أجابه (ناشد) بسرعة :

- هاتفنا لا يتصل إلا بمدينة (طوكيو) وحدها .

قال صاحب الصوت على الفور :

وماذا عن (القاهرة) ؟

ولم يكد (ناشد) يسمع الجزء الأخير من عبارة التعارف ، حتى أسرع يفتح الباب ، ويستقبل زميله (إدوار) ، الذى قال فى انفعال ، وهو يدلف إلى المنزل ، ويغلق الباب خلفه :

- لقد تلقّينا رسالة بالفاكس من السنيورا .

بدت الدهشة على وجه (ناشد) ، فى حين هتفت (جيهان) :

- رسالة بالفاكس ؟! .. وكيف تعرّفت رقم الفاكس الخاص بكم هنا ؟!

أجابها الرجل ، وهو يناول مظروفًا لزميله (ناشد) :

- لقد أرسلتها إلى سفارتنا فى (واشنطن) ، وتم إرسالها إلينا مع مندوب خاص ، وصل إلى (نيويورك) منذ نصف الساعة فحسب ، ولم أكد أتلقى الرسالة ، حتى هرعت بها إلى هنا .

التقط (ناشد) المظروف ، وفضّه بسرعة ، ثم انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يتطلّع إلى الأوراق داخله ، قبل أن يغمغم فى توتر :

يا إلهى ! .. إنها (منى) !

قفزت (جيهان) تختطف الأوراق من بين أصابعه ، وتتطلّع إليها فى لهفة متوترة ، ثم لم يلبث حاجباها أن انعقدا بدورهما ..

هذا لأن الأوراق كانت تحوى بعض الصور لـ (منى توفيق) ، التى ترقد فاقدة الوعى ، فى حجرة خاصة مجهّزة ، وإلى جوار الصور بعض التقارير الطبية الإليكترونية لها ، مثل رسم المخ ، والصور فوق الصوتية للقلب ، وغيرها ..

وفى توتر عنيف ، قالت (جيهان) :

- تلك اللعينة تبلغنا أن (منى) فى قبضتها ، وأنها ما زالت تسيطر على الموقف تمامًا ، بل وتقول فى ذيل الرسالة : إن الصور الأصلية مع التعليمات الجديدة فى طريقها إلى السفارة ، وأنها مرسلة إلى (أدهم صبرى) شخصيًا ، مع تحياتها .

التقط الملحق الطبى التقارير من يدها فى رفق ، وألقى نظرة عليها باهتمام بالغ ، قبل أن يقول فى قلق :

- ولكن لو أن هذه هى التقارير الطبية الخاصة بزميلتكم بالفعل ، فهذا يعنى أن حالتها الصحية ليست على ما يرام ، وأنها تمرّ بمرحلة حرجة للغاية ، وتحتاج إلى عناية طبية خاصة للغاية ، وإلا ...

قاطعه بغتة صوت حازم ، يقول :

- هذا بالضبط ما تريد السنيورا اللعينة أن تخبرنا به .

التفت الجميع فى دهشة إلى مصدر الصوت ، وارتفع حاجبا الملحق الطبى ، حتى كادا يلامسان منابت شعره ، فى حين هتفت (جيهان) :

- رباه !.. (أدهم) ؟! .. ماذا تفعل هنا ؟! .. ينبغى أن تحظى بقدر وافر من النوم ، حتى تستعيد نشاطك !

تقدّم (أدهم) نحوهم ، وهو يقول فى صرامة :

- لا وقت للنوم يا (جيهان) ، فمن الواضح أن خصمنا لا يهدأ له جفن .

عدّل الملحق الطبى منظاره فوق أنفه ، وهو يقول :

- اسمع يا سيّد (أدهم) ، بصفتى طبيبك المعالج ، فأنا ..

قاطعه (أدهم) ، وهو يلتقط الأوراق ، ويلقى نظرة طويلة على صورة (منى) ، مغمغمًا :

- نعم .. إنها هى .. إنها (منى) ..

وانتفض قلب (جيهان) بين ضلوعها ، مع الطريقة التى نطق بها اسم (منى) ..

لقد خيِّل إليها أنه لم ينطقه بلسانه ، وإنما نطقه بقلبه ، وأن كل حرف من حروف اسمها كان يحمل واحدة من نبضاته ..

ويحمل جزءًا من حبه ..

من عشقه وهيامه بها ..

وبكى قلب (جيهان) ..

بكى بدموع من دم ، غمرت صدرها ، دون أن تطلَّ من عينيها الجميلتين ، وهى تتطلَّع إليه فى صمت ، خشيةَ أن تنفرج شفتاها ، فتنطلق من بينهما آهةَ لوعة ، أو تنهيدةَ حسرة ومرارة ...

لم يكن لديها أدنى شك فى أن (أدهم) لم ولن يحب سوى (منى) ..

(منى) وحدها ..

ولكنها لم تكن تستطيع كتمان تلك المرارة ، التى تعتصر قلبها فى قسوة ، كلما أعلن صوته أو وجهه عن هذا الحب العميق ..

أما (ناشد) ، فقد اندفع يسأل فى لهفة وقلق :

- ولكن ما الذى يمكننا أن نفعله ؟!

لم يجب (أدهم) عن السؤال مباشرة ، وإنما لاذ بالصمت لحظات ، وهو يتطلَّع إلى صورة (منى) ، قبل أن يلتفت إلى (إدوار) ، ويسأله فى حزم :

- هل تعقَّبتم مصدر إرسال الفاكس ؟!

أجابه (إدوار) :

- بالطبع يا سيِّدى ، ولكن هذا لم يسفر عن شىء .. لقد تم إرساله لا سلكيًّا ، من مكان ما فى (أمريكا) أو (كندا) ، أو أية دولة أخرى قريبة .

انعقد حاجبا (أدهم) ، وهو يتمتم :

- يا للعينة ! .. إنها تتخذ احتياطاتها بدقة مدهشة .

ومرة أخرى ، وعلى الرغم من أن كل الدلائل تشير إلى العكس ، قفز إلى ذهنه اسم لامرأة واحدة ، تمتلك كل تلك الخبرة والبراعة ، ويمكن أن تسعى خلفه ، وأن تقاتله بكل هذه الشراسة ..

(سونيا) ..

(سونيا جراهام) ..

كان المنطق ، كل المنطق ، يؤكد أنها قد لقيت مصرعها مع ابنه ، فى ذلك الانفجار ، الذى أطاح

بالجزيرة التى اتخذتها مقرًا لمنظمتها الإجرامية (سناك) فى الماضى القريب(*) ...

ولكن شيئًا ما فى أعماقه كان يأبى الاستسلام لذلك المنطق ..

شىء ما فى عقله ، يشعر أنها ما زالت هناك ...

وأن شرورها لم تصبح وقودًا للجحيم بعد .

ولكنه ، وتبعًا لمقتضيات الظروف ، طرح هذه الفكرة جانبًا مؤقتًا ، وعاد يتطلّع فى اهتمام شديد إلى الصورة المنقولة بالفاكس ، وكأنما يبحث فيها عما يمكن أن يرشده إلى المكان الذى تختفى فيها عدوته اللدود ..

وفى صوت خافت حذر ، تمتم (ناشد) :

- أعتقد أنه ليس أمامنا سوى أن ننتظر وصول الصور الأصلية والتعليمات .

تطلّع إليه (أدهم) لحظات فى صمت ، ثم التفت إلى الطبيب ، يسأله :

- كم من الوقت فى رأيك ، يمكن أن تصمد (منى) طبيًا ؟

التقط الرجل الأوراق ثانية ، وطالعها مرة أخرى فى دقة واهتمام ، قبل أن يجيب :

(*) راجع قصة (الضربة القاصمة) .. المغامرة رقم (١٠٠)

- لو أن التقارير كلها سليمة ، والصور توضّح الإمكانيات المتوافرة طبيًا لها ، وبافتراض وجود طبيب متخصّص لرعايتها ، فيمكنها أن تصمد ليومين تقريبًا ، ثم ...

لم يتم عبارته ، وإنما ابتلع ما تبقى منها ، وهزّ رأسه بما يفيد الأسف ، فانعقد حاجبا (أدهم) فى شدة ، وقال فى صرامة مخيفة :

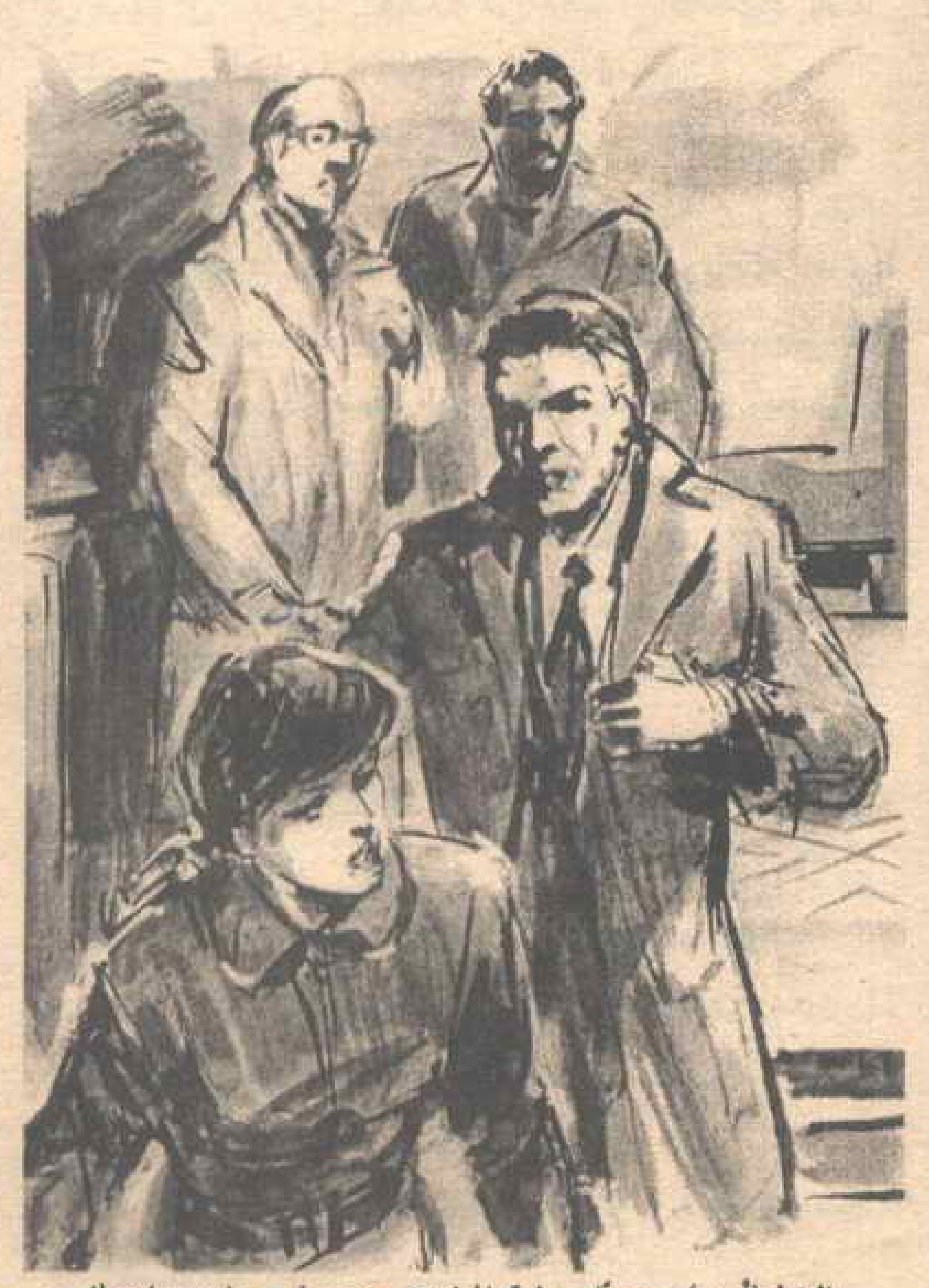
- هذا يعنى أنه ليس أمامنا ما نضيعه من وقت .

قالها ، واتجه إلى ذلك المقعد المجاور للنافذة ، وجلس فوقه فى صمت ، وتعلّقت عيناه باللامكان ، وهو يفكّر فى عمق ..

واحترم الجميع صمته ، حتى خيّم على المكان سكون مهيب ، والعيون كلها تتطلّع إليه مترقّبة ، طوال دقائق ست ، لم يحرّك خلالها أحد الحاضرين ساكنًا ، وكأنما تحوّلوا جميعًا إلى مشهد صامت جامد على شاشة السينما ، أو إلى صورة ضوئية ثابتة ، و ...

وفجأة ، اعتدل (أدهم) ، والتفت إلى (جيهان) يسألها :

- ألديك كل ما تمّ جمعه من معلومات ، عن اتحاد القتلة ؟!



التقط (أدهم) مسدسًا من فوق المنضدة ، ودسه فى حزامه ، واختطف سترته ومعطفه ، وهو يدفع (جيهان) أمامه إلى الباب ..

أجابته فى دهشة ، وجسدها ينتفض انتفاضة محدودة ، وكأنما أيقظها سؤاله من سبات عميق :

- بالطبع .

هبَّ من المقعد فى نشاط عجيب ، لا يتناسب قط مع حالته وإصاباته ، وهو يقول :

- عظيم .. يمكننا أن نبدأ حركتنا إذن .

حدَّق الطبيب فيه بدهشة بالغة ، فى حين سأله (ناشد) فى توتر قلق :

- أية حركة ؟! .. ما الذى تنوى فعله بالضبط ؟!

التقط (أدهم) مسدسًا من فوق المنضدة ، ودسَّه فى حزامه ، واختطف سترته ومعطفه ، وهو يدفع (جيهان) أمامه إلى الباب ، قائلاً فى حزم وحماس :

- أنوى اللحاق بآخر أمل ، يمكن أن يقودنى إليها يا رجل .

فغر (ناشد) فاه فى دهشة ، وانعقد حاجبا الطبيب و (إدوار) فى شدة ، عندما غادر (أدهم) المكان مع (جيهان) فى سرعة ، وأغلقا الباب خلفهما فى قوة ، تشفَّ عن الحماس والحزم ، ولم ينطق أحد الرجال الثلاثة بحرف واحد لدقيقة كاملة ، وإن وقر فى أعماق

كل منهم أن المرحلة القادمة من الصراع ستشهد الكثير والكثير من العنف ..

ومن الخطر ..

★ ★ ★

ألقى رئيس تحرير مجلة (تايم) الأمريكية نظرة طويلة، على الصور الضوئية، التى قدمها له (فريدى)، أحد أنشط المحررين بالمجلة، ثم رفع عينيه إليه يسأله :

- الصور ملتقطة فى براعة حقيقية يا (فريدى)، ولكننى لست أدرى ما الذى يمكن أن تعنيه، أو تثير به اهتمام القارئ ! .. إنها مجرّد مجموعة من الصور لقصر مهيب، يختفى وسط صخور الصحراء المكسيكية، فماذا فى هذا ؟! .. أتعتقد أنه قصر الأميرة المسحورة أم ماذا ؟!

أشار (فريدى) إلى الصور، قائلاً فى حماس :

- إنه ليس كذلك بالتأكيد، ولكن طبقًا لرواية مصوّرنا (جان زوكرمان)، لقيت زوجته (أنجيل) مصرعها بسبب هذه الصور .

جذب الجواب انتباه رئيس التحرير، فاعتدل يسأله فى اهتمام :

- وكيف هذا ؟

أجابه (فريدى) بنفس الحماس :

- لقد التقطت هذه الصور، لذلك القصر الغامض، فقتلوها، وألقوا جثتها بالقرب من النهر، وهذا يعنى أن هناك أمرًا ما يدور خلف أسوار القصر .. أمر يتعارض مع القانون حتمًا، وإلا ما ارتُكبت من أجله جريمة قتل .

هزّ رئيس التحرير رأسه فى اهتمام شديد، وهو يسأله :

- يبدو أنك على حق يا (فريدى) .. القصة مثيرة بالفعل .. ألديك وثائق تؤكد هذا ؟

صمت (فريدى) لحظة، ثم هزّ كتفيه، قائلاً :

- لدينا رواية (زوكرمان) .. إنه سيتحمّل المسئولية كاملة بالطبع، و ...

قاطعه رئيس التحرير فى غضب، وهو يضرب سطح مكتبه براحته :

- خطأ .. خطأ يا رجل .. هل نسيت قواعد العمل الصحفى، أم ماذا ؟!.. لا يمكننا نشر تحقيق كهذا، دون وثائق إدانة قوية، وإلا قام أصحاب ذلك القصر بمقاضاتنا، وقد يكلفنا هذا مليونى دولار على الأقل .

قال (فريدى) معترضًا :

ـ ولكن (زوكرمان) سيتحمَّل المسئولية كلها ، وهو واثق تمام الثقة من كل كلمة قالها .

لوَّح رئيس التحرير بكفه ، قائلاً :

ـ لا تحاول .. (زوكرمان) مصوِّرٌ محترم ، وأنا شخصيًا شديد الإعجاب بصوره ، ولكننى لن أخاطر بسمعة المجلة ، لمجرَّد أنه مصدوم بمصرع زوجته ، ويبحث عن تبرير لهذا .

هتف (فريدى) :

ـ سيِّدي .. (زوكرمان) ليس بالرجل الذى ..

قاطعه رئيس التحرير بصرامة شديدة هذه المرة :

ـ قلت لك : لا تحاول .. هذه المجلة لها سياسة حازمة ، ومهمتى هى العمل على تنفيذ هذه السياسة كما ينبغى .. لا نشر بدون وثائق .. هل تفهم ؟ .. لا نشر بدون وثائق .

ارتسم الغضب على وجه (فريدى) ، وهو يقول فى حدة :

ـ فليكن .. ولكن تذكَّر دائمًا أنك المسئول عن خسارتنا لهذا السبق الصحفى .

قالها ، واستدار فى حدة ليغادر المكتب ، إلا أن عبارته دوَت فى عقل رئيس التحرير ، فهتف يستوقفه :

ـ لحظة يا (فريدى) .

التفت إليه الصحفى الشاب فى غضب ، فاستطرد فى توتر :

ـ عندى حل وسط لهذه المشكلة .

أطلَّت من عينى (فريدى) نظرة متسائلة ، جعلت رئيس التحرير يتابع :

ـ سننشر الصورةَ من دون التحقيق .

هتف (فريدى) فى دهشة :

ـ وما الذى يمكن أن يعنيه هذا ؟! .. منح القراء لغزًا مسليًا ؟!

قال رئيس التحرير فى حدة :

ـ هذا كل ما يمكننى فعله .. سننشر أكثر الصور وضوحًا للقصر ، ومعها عدد قليل من الأسطر ، يشير إلى أن هذه الصورة مرسلة من (زوكرمان) فى (المكسيك) ، وأنه قد عثر عليها فى آلة التصوير الخاصة بزوجته ، بعد أن لقيت مَصرعها هناك فى ظروف غامضة ، ثم

نتساءل : أى شخص هذا الذى يبنى قصره فى مكان خفى على هذا النحو ؟! ولماذا ؟!

هتف (فريدى) فى حماس :

- رائع .. أنا أجد هذا الحل رائعًا .

ثم سأل فى لهفة :

- هل يمكننا اللحاق بعدد الغد ؟

هزَّ رئيس التحرير كتفيه ، مجيبًا :

- فقط لو أنك تابعت هذا بنفسك .

هتف فى حماس أكثر :

- سأفعل .

أخفى رئيس التحرير ابتسامته فى أعماقه ، وحافظ على ملامحه الصارمة ، وهو يتابع (فريدى) ، الذى اختطف الصور ، وانطلق يعدو نحو صالة التحرير ، ثم لم يلبث أن سمح للابتسامة بالتسلل إلى شفتيه ، عندما اطمأن إلى أن أحدًا لا يلمحه ، وتمتم فى إعجاب :

- هكذا يكون الصحفى .

ثم عاد يتابع أعماله ، دون أن يدرى أنه بقراره هذا قد قدَّم خدمة رائعة للمخابرات المصرية ..

وبالتحديد إلى أفضل رجالها ..

إلى (أدهم صبرى) ..

رجل المستحيل ..

★ ★ ★

لملم (بل هايدن) أوراقه ووثائقه فى عناية ، وألقاها كلها فى مدفأة منزله الفاخر ، ووقف يراقب النيران ، التى التهمتها فى سرعة ، ثم اتجه نحو لوحة زيتية كبيرة ، تحتل منتصف أحد الجدران فى الردهة الكبيرة ، وأزاحها جانبًا ، فبدت خلفها خزانة فولاذية ، أدار قرص أرقامها السرية فى سرعة ، ثم فتحها ، وراح ينقل رزم النقود وأكياس الذهب منها ، إلى حقيبة كبيرة ، وعندما اطمأن إلى أنه لم يترك شيئًا خلفه ، التقط سماعة الهاتف ، وطلب رقمًا خاصًّا ، ولم يكد يسمع صوت محدثه ، حتى قال فى توتر ملحوظ :

- أنا (بل) يا (موريس) .. أنا مستعد الآن للرحيل .. نعم .. كل شىء أصبح على ما يرام .. كلاَّ .. لا تحاول إقناعى بالبقاء .. لقد فشلت فى القضاء على ذلك المصرى ، وأصبحت محاصرًا بين المطرقة والسندان ، فالسنيورا اللعينة لن تسمح لى بالبقاء قط ، بعد أن عرفت شيئًا من أسرارها .. هذه هى القاعدة التى تتبعها

فى كل عملها ، والتى جعلتنى أقتل (توم) من أجلها ..
هيا يا (موريس) .. لا تضع المزيد من الوقت .. إننى أنتظرك لتنقلنى إلى المطار الخاص .. هيا ..

وأنهى الاتصال ، وهو يطلق من أعماق صدره زفرة حارة متوترة ، ثم يتطلّع إلى مرآة كبيرة فى الردهة ، ويعدّل رباط عنقه ، مغمغمًا :

- أتعشم أن يكون الطقس جيدًا هذه الأيام فى (الأرجنتين) ، فلست مستعدًا لـ ...

بتر عبارته بغتة ، ومال رأسه إلى الأمام على نحو مضحك ، وهو يحدّق بعينين ذاهلتين فى المرآة ، التى نقلت إليه مشهدًا من خلف ظهره ، لم يكن يتخيّل رؤيته قط ..

نقلت إليه صورة (أدهم صبرى) ، الذى برز من حجرة نومه ، وارتكن إلى بابها فى هدوء ، وهو يتطلّع إليه بابتسامة ساخرة ..

وبحركة عنيفة حادة ، استدار (هايدن) إلى (أدهم) ، وارتدّ كمن أصابته صاعقة ، فارتطم بالمرآة الكبيرة ، وهو يصرخ :

- لا .. مستحيل ! .. مستحيل أن تكون هنا !

اتجه (أدهم) نحوه فى هدوء ، وهو يقول :

- لم يكن الأمر مستحيلاً أيها الوغد .. أو حتى عسيرًا .. إنك تتعامل مع ما حولك فى استهتار تام ، وكأنك رئيس الشرطة ، ولست مجرّد قاتل محترف حقير ..

امتقع وجه (هايدن) فى شدة ، والتصق بالمرآة فى رعب ، وهو يحدّق فى (أدهم) ، الذى واصل تقدّمه نحوه ، مستطردًا :

- لقد حدّدت شخصيتك ، من المعلومات التى حصلنا عليها ، ثم توصّلت إلى رقم بطاقة الائتمان الخاصة بك ، وبعدها لم يعد الأمر شاقًا .. لقد استخدمنا الكمبيوتر ، لمعرفة حركة بطاقتك ومصروفاتها ، وأمكننا ببساطة أن نحدّد مسكنك .

ثم مال نحوه ، مضيفًا بلهجة ساخرة :

- كانت سخافة منك أن تستخدم اسمك الحقيقى فى استخراج بطاقة ائتمان .. أليس كذلك ؟!

تضاعف امتقاع وجه (هايدن) ، واتسعت عيناه فى ذعر ، وهو يتمتم فى صوت بلغ شحوبه أقصاه :

ـ ولكن كيف ؟! .. كيف وصلت إلى هنا ؟! .. إننى أقيم فى الطابق العشرين من ناطحة السحاب هذه ؟!

هزَّ (أدهم) كتفيه ، وأجاب ساخرًا :

ـ من أدراك ؟! .. ربما طرت إليك مثل (سوبرمان) .

التصق (هايدن) بالمرآة أكثر وأكثر ، وكأنما يتمنى أن يغوص داخلها ، فرارًا من خصمه ، الذى يرمقه بنظرة صارمة مخيفة ، وارتجف صوته بشدة ، وهو يسأله :

ـ وما .. ماذا تريد منى ؟!

أجابه (أدهم) بلهجة بالغة الصرامة ، تكاد تتجمدُ لها الدماء فى العروق :

ـ السنيورا .

ردَّد (هايدن) فى ارتياع :

ـ السنيورا ؟!

جذبه (أدهم) من سترته فى قسوة ، وكاد يغوص بعينيه فى أعماقه ، وهو يقول بنفس الصرامة :

ـ أين هى ؟! .. أين يمكننى أن أجدها ؟! .. أنت تعرف موقعها حتمًا .

هتف (هايدن) :

ـ لست أعرف شيئًا .. أقسم لك .. إننى أتلقَى الأوامر منها هاتفيًّا فحسب .

سأله (أدهم) فى قسوة :

ـ وماذا عن النقود ؟

لوَّح (هايدن) بذراعه ، هاتفًا :

ـ كلها تحويلات بنكية .. أقسم لك إننى أذكر الحقيقة .

مال (أدهم) نحوه أكثر ، وهو يقول بلهجة مخيفة :

ـ كاذب .. لست أصدِّق حرفًا واحدًا مما تقول .. أنت تعرف أين هى .. على الأقل يمكنك أن تخبرنى فى أية دولة تقيم .

اتسعت عينا (هايدن) فى رعب شديد ، وهو يقول :

ـ مستحيل ! .. لا يمكننى أن أخبرك شيئًا ستقتلنى لو فعلت .. إنها لا تعرف الرحمة .

دفعه (أدهم) فى عنف ، قائلاً :

ـ وماذا لو قتلتك أنا الآن ؟!

أطلَّ ذعر هائل من عينى (هايدن) ، وبدا لحظة وكأنه سيدلى بشىء ما ، ثم لم تلبث نظرته أن حملت شيئًا من الأمل واللهفة ، وهو يهتف :

ـ اقتله .. اقتله يا (موريس) .

ومع اتجاه نظرته ، التى تجاوزت كتف (أدهم) ، وذلك الصوت الخافت الحذر ، الذى التقطته أذنا هذا الأخير ، استدار بطلنا فى سرعة ، إلى حيث ينظر (هايدن) ، ووقع بصره لحظة على رجل أصلع الرأس ، ضخم الجثة ، يصوِّب إليه مسدسًا كبيرًا ، و ..

وانطلقت من فوهة ذلك المسدس الكبير رصاصة ، قبل أن يكمل (أدهم) التفاتته ..

وأصابت صدره إصابة مباشرة ..

فى موضع القلب تمامًا .

★ ★ ★



٥ ـ نيويورك ..

« (هانكس) .. استيقظ يا (هانكس) .. »

فتح (هانكس) عينيه فى بطء ، وتطلَّع إلى وجه زميله ، الذى نطق العبارة ، وحملت عيناه شيئًا من الحيرة فى البداية ، قبل أن يعتدل فى مجلسه ، ويهتف :

ـ آه .. يبدو أننى استغرقت فى النوم ، دون أن أدرى .

ربَّت زميله على كتفه ، قائلاً فى تعاطف :

ـ إنك مرهق للغاية ، ولم تذق طعم النوم منذ صباح أمس ، ومن الطبيعى أن تنام فى أثناء عملك على الكمبيوتر .

لم يكد زميله يأتى على ذكر الكمبيوتر ، حتى اعتدل (هانكس) ، ودبَّ فى جسده نشاط مباغت ، وقال فى حماس مدهش :

ـ بمناسبة الكمبيوتر .. لقد راجعت عشرات الأمور ، وبحثت عن علاقات لم أنتبه إليها من قبل ، وجاءت النتائج مدهشة .. بل مذهلة .

والتفت إليه ، مستطردًا فى انفعال :

ـ ولو صحّ ما تشير إليه هذه المعلومات ، فنحن أمام واقعة بالغة الخطورة .. خيانة عظمى لو صحّ القول .

هتف زميله فى دهشة بالغة :

ـ خيانة عظمى ؟! .. يا إلهى ! .. إنه قول بالغ الخطورة يا (دين) .

لوّح (هانكس) بيده ، قائلاً :

ـ ولكنه أقرب إلى الحقيقة والواقع يا رجل .. من الواضح أن بعض معلوماتنا بالغة السرية تتسرّب منذ فترة ليست بالقصيرة ، ومن مواقع مختلفة ، ويبدو أن جهة ما قد نجحت فى التسلّل إلى صفوفنا ، وتغلغلت فيها على نحو مخيف ، وما (إيدن) و(فريمان) إلا جزء من شبكة معقّدة رهيبة .

ثم تنهّد فى عمق ، مستطردًا :

ـ والمدهش أن (أدهم صبرى) حاول تحذيرنا من هذا الأمر وتنبيهنا إليه طوال الوقت .

ربّت زميله على كتفه ثانية ، وهو يقول :

ـ ألم أقل لك : إنه من الممكن أن ترى الأمور بشكل آخر ، لو نظرت إليها من زاوية جديدة .

أشار (هانكس) بيده ، وقال :

ـ بل ربما يتجاوز الأمر هذا يا رجل ، ومن المؤكّد أنه سيدهشك ما انتهى إليه تفكيرى ، بعد أن توصّلت إلى هذه الحقائق الجديدة .

سأله زميله فى اهتمام :

ـ وما الذى انتهى إليه تفكيرك ؟

صمت (هانكس) لحظة ، قبل أن يجيب فى عمق :

ـ إلى انقلاب يا رجل .. انقلاب تام .

قالها ، دون أن يفصح عما لديه ..

وبدا قوله هذا غامضًا ! ..

غامضًا للغاية ! ..

★ ★ ★

أصابت رصاصة (موريس) (أدهم) فى صدره ، فى موضع القلب تمامًا ، ودفعت جسده إلى الخلف فى عنف ، فارتطم بالمرآة الكبيرة ، التى تحطّمت بدوىّ عنيف ، وتناثرت شظاياها فى مساحة واسعة ، فانطلق (هايدن) يعدو ، هاتفًا :

ـ انسف رأسه يا (موريس) .. لا تترك احتمالًا واحدًا لنجاته .

اندفع (موريس) نحو (أدهم) ، وهو يصوّب مسدسه إلى رأسه ، و ...

وفجأة ، وثب (أدهم) نحوه ، هاتفا :

ـ الأمر ليس بهذه البساطة يا صاح .

شهق (هايدن) ، وانتفض جسده فى هلع ، فى حين اتسعت عينا (موريس) ، وتراجع بحركة حادة ، من أثر المفاجأة ، فانقضَّ عليه (أدهم) ، وأمسك معصم اليد الممسكة بالمسدس ، وأبعدها عنه ، وهو يلكم (موريس) فى فكه ، قائلاً :

ـ يسعدنى أن فاجأتك بهذا .

ثم لكمه فى معدته ، مستطردًا :

ـ ولكننى أدين بالفضل إلى اقتراح زميلتى الجديدة .

وأضاف لكمة ثالثة فى أنفه ، متابعًا :

ـ بارتداء درع واقية من الرصاصات .

كانت لكماته أشبه بمطارق قوية ، إلا أن جسد (موريس) الضخم احتملها على نحو مدهش ، قبل أن يطلق الرجل زمجرة مخيفة ، ويهاجم (أدهم) صارخًا :

ـ لا أحد يفعل هذا بـ (موريس) .

تراجع (هايدن) أمام ذلك المشهد المخيف ، ثم دار على عقبيه ، وانطلق يعدو خارج المنزل هاربًا ، و (أدهم) يستقبل (موريس) بلكمة كالقنبلة فى فكه ، قائلاً :

ـ راجع نظرياتك يا رجل .

ثم وثب ليركله بقدميه فى صدره ، مستطردًا :

ـ فهويتى لا تحمل اسم (لا أحد) .

تراجع (موريس) فى عنف ، مع قوة الضربة ، وارتطم بالجدار المقابل ، فاندفع (أدهم) محاولا اللحاق بـ (هايدن) ، إلا أن الضخم ارتدّ عن الجدار ، كما لو كان كرة من المطاط ، وأحاط وسط (أدهم) بذراعيه ، هاتفا :

ـ التغلّب على (موريس) ليس بالأمر السهل .

رفع (أدهم) قدميه عن الأرض ، وضرب بهما الجدار ، ودفع ظهره مع خصمه إلى الخلف ، وهو يدور حول رأسه بحركة بالغة الرشاقة ، أجبرت الرجل على السقوط على ظهره ، الذى ارتطم بالأرض فى عنف ، جعل (أدهم) يتملّص من ذراعيه ، ويثب واقفا على قدميه ، وهو يهتف :

ـ وليس بالأمر الصعب أيضًا .

هبَّ (موريس) واقفًا فى سرعة ، ولكن (أدهم) دار على قدمه اليسرى ، وهوى على فكه بقدمه اليمنى بركلة أشبه بصفعة من يد فولاذية عملاقة ، طار لها جسده الضخم لمترين كاملين ، قبل أن يسقط على ظهره فى عنف ، فوق شظايا المرآة المكسورة ..

وعلى الرغم من عنف الصدمة وقوتها ، نهض (موريس) واقفًا ، وصاح وهو يندفع نحو (أدهم) صيحة مخيفة ، أشبه بصيحة ثور هائج ، ثم انقضّ على هذا الأخير كالصاعقة ، وحمله من وسطه كما لو أنه يحمل طفلًا صغيرًا ، وصرخ :

- ستدفع الثمن يا هذا .. ستدفع الثمن ..

ومع آخر حروف صرخته ، ظهرت (جيهان) ، وهى تصوِّب إليه مسدسها ، هاتفة فى صرامة :

- توقَّف يا هذا ، وإلاّ ..

وقبل أن تتمّ عبارتها ، أطلق (موريس) صرخة هادرة ، وألقى (أدهم) نحوها بكل غضبه وقوته ..

وعلى الرغم من الانثناءة المرنة ، التى قام بها جسد (أدهم) فى الهواء ، لتفادى الارتطام العنيف بزميلته ، إلا أنه لم يستطع الابتعاد عنها تمامًا . فاصطدم جسده بها ، وسقط الاثنان أرضًا ، فى نفس اللحظة التى وثب فيها (موريس) يستعيد مسدسه ، وهو يصرخ :

- هذه المرة لن أخطئ هدفى .. سأنسف رأسيكما مباشرة .

وأدار فوهة مسدسه فى سرعة ، ليطلق النار على رأسيهما ، و ...

وبسرعة مدهشة ، التقط (أدهم) قطعة من شظايا المرآة ، وألقاها نحو (موريس) بكل قوته ..

وشهق الضخم ، وجحظت عيناه فى ألم وذهول ، عندما اخترقت قطعة الزجاج الحادة عنقه ، ومزّقت وريده مباشرة ..

ولثانية أو يزيد ، تجمَّد جسد (موريس) فى مكانه ، بعينيه الجاحظتين وملامحه المذعورة ، قبل أن يهوى جثة هامدة ، بين الشظايا المتناثرة .

وفى دهشة تحمل شيئًا من الحنق ، هتفت (جيهان) بـ (أدهم) :

- لماذا لم تستخدم مسدسك منذ البداية ؟

أجابها ، وهو يهبّ واقفًا على قدميه ، ويعاونها على النهوض :

- لأننى لم أتبع القواعد ، ففوجئت بأن المسدس الذى التقطته من فوق المنضدة خال من الرصاصات .

ثم سألها فى اهتمام :

- أين ذهب (هايدن) ؟

اتسعت عيناها فى دهشة ، وهى تجيب :

- (هايدن) ؟! .. إننى لم أشاهده قط .. لقد استقللت المصعد ، و ...

قاطعها (أدهم) وهو يندفع نحو الباب :

ـ رباه ! .. لقد استخدم درجات سلم الطوارئ بالتأكيد .. هذا الرجل محترف بحق .

وتلفَّت حوله فى توتر ، وهو يدرك أن قتاله مع (موريس) قد منح (هايدن) كل ما يشاء من الوقت ، ليسبقه إلى أسفل ، ولو لم يجد وسيلة سريعة للحاق به ، فسيعنى هذا أن يفقد آخر خيط ، يمكن أن يقوده إلى السنيورا ! ..

وإلى (منى) ..

وفجأة انطلق نحو المطبخ ، فتبعته (جيهان) هاتفة :

ـ إلى أين ؟!

وارتفع حاجباها فى دهشة ، عندما فتح غطاء أنبوب القمامة الضخم(*) ، وهتفت مستنكرة :

ـ ماذا ستفعل بالله عليك ؟! .. إنها فتحة القمامة !!

هتف بها ، وهو يثب داخل الأنبوب :

ـ للضرورة أحكام .

(*) فى كل البنايات الضخمة فى (أمريكا) ـ تقريبًا ـ توجد بكل شقة فتحة لإلقاء أكياس القمامة إلى مخزن خاص ، عبر أنبوب ضخم .

انزلق جسده عبر الأنبوب الكبير بسرعة مخيفة ، عبر عشرين طابقًا ، وراح يتخبَّط فى جدران الأنبوب فى عنف ، فضمّ ساعديه إلى وجهه ، ليقيه الصدمات والخبطات ، وعقله لا يحمل سوى فكرة واحدة وضرورة واحدة ..

أن يلحق بـ (هايدن) ..

وأخيرًا ، تجاوز جسده الأنبوب ، وقفز لمترين عبر الفراغ ، قبل أن يسقط داخل وعاء ضخم ، امتلأ بأكياس القمامة السوداء ..

ولم يستقر جسده داخله ثانية واحدة ..

إنه لم يكد يسقط داخله ، حتى وثب خارجه ، وانطلق يعدو بكل قوته ، محاولًا بلوغ مربض السيارات ..

وعندما بلغه ، كان (هايدن) ينطلق بسيَّارته هاربًا ..

وبكل قوته وسرعته ، وعلى الرغم من جراحه وآلامه ، انطلق (أدهم) يعدو خلف سيارة (هايدن) ، الذى لمحه فى مرآته ، فاتسعت عيناه فى ذعر وذهول ، وهتف مرتجفًا :

ـ يا للشيطان !! .. كيف يفعل هذا ؟

وضغط دوَّاسة الوقود بكل قوته ، فانطلقت السيارة عبر المربض بسرعة مخيفة ، واتجهت نحو بابه

الخارجى ، وحاول حارس المكان إيقافها ؛ للتأكُّد من هوية قائدها ، كما تقتضى التعليمات ، ولكن (هايدن) لم يكن مستعدًا للتوقُّف لحظة واحدة ، فانطلق نحوه مباشرة ، وهو يصرخ :

ـ أيها الغبى .

وهتف (أدهم) من الخلف :

ـ ابتعد باللَّه عليك يا رجل .

ولكن هتافه جاء بعد فوات الأوان ، فقد ارتطم (هايدن) بالحارس بكل قوته ، وأطاح به بعيدًا ، قبل أن يحطِّم حاجز باب المربض ، ويندفع إلى الطريق بسرعة مخيفة ..

وفى مدينة مثل (نيويورك) ، يستحيل أن يندفع شخص ما بهذه السرعة ، إلى طريق رئيسى ، دون أن يحدث مالا تحمد عقباه ..

لذا فقد عجز (هايدن) عن تفادى الاصطدام بالسيارات المنطلقة فى نهر الطريق ، على الرغم من انحرافه عن مسارها ، و ...

وحدث الاصطدام ..

سيارة أمريكية ضخمة اصطدمت بجانب سيَّارته فى عنف ، فدارت حول نفسها ، لترتطم أخرى بمقدمتها ، وتلقيها إلى جانب الطريق ..

وضاعف (أدهم) من سرعة ركضه ، محاولًا بلوغ سيارة (هايدن) ، قبل أن يستعيد هذا الأخير توازنه ، إلا أن القاتل المحترف وثب خارج السيارة فور توقفها ، وانطلق يجرى بأقصى سرعة يصنعها الخوف والفزع ، نحو كوبرى علوى بعيد ..

ووثب (أدهم) يتجاوز السيارة ، وهو يهتف بالمارة ، الذين تجمَّعوا حول المكان ، واعترضوا طريقه دون أن يدروا :

ـ أفسحوا الطريق .. إنها مطاردة رسمية .

تباعد الجميع فى سرعة ، وهتف أحدهم ، عندما تجاوزه (أدهم) :

ـ رباه ! إنه البطل (تيم بارتون) .

شهق البعض فى انبهار ، وصفق آخرون بأكفهم كالأطفال ، فى حين واصل (أدهم) جريه خلف (هايدن) ، الذى صعد إلى أعلى الكوبرى ، وراح يعبره بسرعته القصوى ، حتى اعترضه أحد العمال ، هاتفًا :

ـ لا يمكنك عبور الكوبرى .. إننا نجرى بعض الإصلاحات فى نهايته ..

احتقن وجه (هايدن) ، وهتف بالعامل فى غضب :

ـ ومن سمح لكم بفعل هذا أيها الأغبياء ؟ .. من سمح لكم ؟!

حدّق العامل فى وجهه بدهشة ، وهو يغمغم :
ـ إننا نحمل تصريحات رسمية ، و ...
لم يستمع إليه (هايدن) ، وهو يلتفت إلى الخلف فى توتر شديد ، وهوى قلبه بين ضلوعه ، عندما رأى (أدهم) يعدو نحوه ، فاستلّ مسدسه ، صارخًا :
ـ لا .. ابتعد عنى .. ابتعد عنى .
وأطلق رصاصتين من مسدسه ، فوثب (أدهم) ، وانبطح أرضًا لتفاديهما ، فى حين تعلّقت عينا (هايدن) بالمترو ، الذى يتجه نحو الكوبرى ، ثم اعتمد على حاجز الكوبرى بيسراه ، ووثب بلا تردّد ، ليهبط على سطح المترو ..
ولم يتردّد (أدهم) أيضًا لحظة واحدة ..
لقد وثب بدوره عبر الحاجز ، وهبط على سطح المترو ، ثم انطلق يواصل مطاردته للقاتل ..
وامتلأت نفس (هايدن) بذعر لا حدود له ، عندما رأى (أدهم) خلفه ، فراح يعدو فوق سطح المترو المنطلق بسرعة ، فى محاولة للفرار منه بأى ثمن ..
ولكن المسافة بينهما كانت تقصر بسرعة مدهشة ..
فمهما بلغت سرعة (هايدن) ، لن يمكنه أبدًا أن يسبق هذا الرجل .

رجل المستحيل ...
صحيح أن (هايدن) ليس مصابًا بكل هذه الجراح ، التى تثخن جسد (أدهم) ، وأن الدماء بدأت تتسلّل إلى سترة وسروال هذا الأخير ، عبر الجراح ، التى لم تحتمل كل هذا الجهد والعنف ، إلا أن (أدهم) كان يواصل العدو ، ويقفز من إحدى عربات المترو إلى الأخرى ، كما لو أن جهازه العصبى قد تخدّر بأكمله ، أو لم يعد يبالى بالآلام ، مهما بلغ عنفها ..
وأخيرًا بلغ (هايدن) قاطرة المترو ، وأدرك أنه لم يعد أمامه من مفر ، فخفق قلبه فى عنف وارتياع ، واستدار يواجه (أدهم) ، و ...
وفجأة ، انتبه إلى أنه مازال يحمل مسدسه فى يده ..
وأدهشه أن الخوف قد أنساه نقطة تفوق هائلة كهذه ، فرفع فوهة مسدسه نحو (أدهم) ، وصرخ :
ـ محطتك الأخيرة أيها المصرى ..
وفى هذه المرة ، لم يكن أمام (أدهم) مفرّ من مواجهة رصاصات (هايدن) ...
أى مفر ..

★ ★ ★

كان المترو ينطلق فى طريقه ، فوق زوج من القضبان الفولاذية ، وركابه لا يدرون شيئًا مما يحدث

على سطحه ، حيث يقف (هايدن) ، ومسدسه مصوَّب إلى رأس (أدهم) ..

ولم تكن هناك وسيلة آمنة واحدة ، لتفادى الرصاصات هذه المرة ، فالانحراف يمينًا أو يسارًا ، سيؤدى حتمًا إلى السقوط من المترو ، وهو ينطلق بهذه السرعة ..

والمسافة ، التى تفصل (أدهم) عن (هايدن) ، لا تسمح للأوّل بالانقضاض على الثانى بالسرعة المطلوبة ..

و(هايدن) قاتل محترف ..

ولن يخطىء إصابة هدفه ..

ثم إنه يعلم جيدًا أن (أدهم) يرتدى درعًا واقيًا من الرصاصات ..

وسيصوِّب على الرأس مباشرة ..

ولم يكن لدى القاتل المحترف أدنى شك ، فى أنه قد ظفر بخصمه هذه المرة ، لذا فقد أطلق ضحكة ظافرة قوية ، وجذب زناد مسدسه ، و ...

وفجأة ، ظهر ذلك النفق ..

كان المترو ينحرف بسرعته الكبيرة ، ويدلف إلى نفق من أنفاقه ، لينطلق إلى وسط المدينة ، ورأى

(أدهم) سقف النفق فى مستوى أقل من ارتفاع رأس (هايدن) ، الذى لم ينتبه إلى هذا ، وهو يولى النفق ظهره ، ويصوِّب مسدسه إلى (أدهم) ، الذى هتف :

ـ احترس يا رجل .

وقبل حتى أن يكتمل هتافه ، وقع الارتطام ..

وأمام عينيه تمامًا ، رأى (أدهم) مؤخرة رأس (هايدن) ترتطم بالنفق فى قوة ، والدماء تتفجَّر منها ، مع بعض شظايا الجمجمة ، وقطع من المخ ، قبل أن يطير جسد القاتل المحترف ، ويسقط جثة هامدة عند قضبان المترو ، الذى مزَّق ما تبقَّى منها بلا رحمة ..

وفى مرارة ، صرخ (أدهم) ، وهو ينحنى ليتفادى الارتطام :

ـ لا .. ليس هذا .

ارتفع صوت المترو بشدة ، داخل النفق ، مع تردُّده على الجدران ، وأغلق (أدهم) أذنيه بشدة ، وعقله وقلبه يصرخان فى ألم وأسف وأسى ..

ها هوذا يفقد آخر خيط ..

ها هو ذا يشهد مصرع آخر الرجال ، الذين يمكن أن يقودوه إلى خصمه اللدود ..

وإلى الإنسانة الوحيدة ، التى لم ولن يحب قلبه سواها ..



ورأى (أدهم) سقف النفق فى مستوى أقل من ارتفاع رأس (هايدن) ، والذى لم ينتبه إلى هذا ..

إلى (منى) ..

واعتصر الألم والحزن قلبه فى شدة ، واختنقت عيناه بدموع حبيسة ، لم تسمح لها كرامته بالتحرُّر قط ، حتى توقَّف المترو فى محطته التالية ، فانتزع (أدهم) نفسه من رقاده وحزنه انتزاعًا ، ووثب من سطح المترو إلى الرصيف ، أمام العيون الذاهلة المتسائلة ، ودسَّ كفيه فى جيبى معطفه ، متجاهلًا النظرات المندهشة ، وهو يتجه إلى باب الخروج ، و ..

وفجأة ، ارتفع من خلفه صوت مألوف ، يقول :

- كنت أعلم أننا سنلتقى ثانية .

استدار فى حركة سريعة إلى مصدر الصوت ، فواجهته فوهات خمسة مسدسات متحفزة ، وبينها وجه المفتش (هانكس) الذى يستطرد فى ارتياح :

- والواقع أننى كنت متشوقًا بشدة لهذا اللقاء بالذات .

وكانت مفاجأة حقيقية ..

وعلى الرغم من هذا ، لم يحاول (أدهم) المقاومة ..

لقد ترك رجال المباحث الفيدرالية يحيطون به ، ويضعون أغلالهم فى معصميه ، ويقودونه إلى سيارتهم ، وكأنما فقد مع مصرع (هايدن) ، رغبته فى الفرار أو النجاة ..

أو فقد الأمل فى استعادة الفتاة التى ينبض قلبه بحبها ..

كل الأمل ..

★ ★ ★

مطّت (جيهان) شفتيها الجميلتين فى أسى ، وتنهّدت فى أسف ، وهى تجلس مع (أدهم) داخل حجرة صغيرة مغلقة ، فى مبنى المباحث الفيدرالية ، ثم قالت فى ضيق :

- يبدو أنه لا مفرّ من الاعتراف بأن (هاتكس) هذا يجيد عمله تمامًا .. لست أدرى كيف توقّع أننا سنتعقّب آخر أعضاء (اتحاد القتلة) ، ولكننى فوجئت برجاله يطبقون علىّ داخل شقة (هايدن) ، وعلمت منهم أنه رآك تطارد ذلك الوغد ، فلحق بك دون أن تدرى .. أراهن على أنه استنتج وجهتكما ، عندما رآكما تقفزان إلى سطح المترو .

لم يبد على (أدهم) أنه سمعها ، وهو يجلس صامتًا على مقعده ، وعيناه شاردتان ، تحدّقان فى الجدار وكأنه لا يراه ، فمالت نحوه ، مغمغمة :

- هل تشعر بالسخط ، لأنك وقعت في قبضتهم ؟!

التفت إليها فى بطء ، وهزّ رأسه قائلا :

- هذا لا يقلقنى على الإطلاق يا عزيزتى .. لقد استسلمت لهم فى محطة المترو ، لأننى كنت مجهدًا للغاية ، وكنت بحاجة إلى بعض الوقت ، لمراجعة كل ما اختزنه عقلى ، منذ بدأت هذه الملحمة السرمدية ، بحثًا عن خيط آخر ، يمكن أن يقودنى إلى حيث يحتجزون (منى) .. لابد أن أصل إليها ، قبل أن تسوء حالتها أكثر .

قاومت تلك الغصة فى حلقها ، وهى تتمتم :

- ولماذا لا تنتظر وصول الصور الأصلية وتعليمات السنيورا ؟

هزّ رأسه نفيًا ، وهو يجيب :

- لأن تلك الأفعى أكثر حذرًا من ثعلب جريح ، وأكثر شراسة من ذئب جائع ، ولن تحمل لنا صورها وتعليماتها سوى محاولة جديدة ، لدفعى إلى فخ آخر ، وستبذل قصارى جهدها ، حتى لا تمنحنى دليلاً واحدًا ، مهما بلغت ضآلته ، يمكن أن يقودنى إلى مخبئها .

ارتفع حاجباها ، وهى تقول فى توتر :

- إلى هذا الحد ؟! .. ألا توجد وسيلة واحدة للظفر بتلك اللعينة ؟!

هزّ رأسه مرة ثانية ، قبل أن يقول :

- إنها شديدة الحذر والحرص ، إلا أنه ما من شخص أو جهة ، يمكنها التحرك محافظة على سريتها المطلقة إلى الأبد ، مهما بلغت استحكاماتها الأمنية .. هناك ثغرة ما حتمًا .. طرف خيط لا ينتبه إليه أحد ، ربما لأنه ضئيل للغاية ، أو لأنه يختفى فى ركن مهمل ، يصعب الوصول إليه .. ولكن إذا ما بذل المرء جهدًا أكبر ، واستعان بقوة ملاحظة أكثر دقة ، ونبش فى الأركان والزوايا ، فربما يلتقط طرف الخيط المهمل هذا ، ويستخدمه للوصول إلى الحقيقة كلها .

تنهّدت قائلة :

- هذا يبدو لى أشبه بالروايات البوليسية التقليدية ، عندما تتعقّد الأمور تمامًا ، ثم يقفز الحل فجأة إلى رأس البطل ، فينكشف الغموض كله .

مطّ شفتيه ، وهزّ كتفيه ، قائلاً :

- لو أن لك مثل خبرتى ، لأدركت أن هذا يحدث فى عالم الواقع أيضًا يا عزيزتى ، ولكن بصورة أقل مثالية مما يحدث فى الروايات وأفلام السينما القديمة .

لم يبد عليها الاقتناع بقوله ، فهزّت كتفيها ، وغمغمت :

- ربّما .

لم تكد تنطق الكلمة ، حتى دلف (هانكس) إلى المكان ، وقال بابتسامة هادئة ، تختلف تمامًا عما اعتاداه منه طوال هذه المهمة :

- معذرة لأننى تركتكما تنتظران ، ولكننى كنت أحاول الحصول على بعض المعلومات الهامة ، قبل أن نلتقى .

تطلّع إليه (أدهم) لحظة فى صمت ، ثم سأله :

- قل لى أيها المفتش : يلوح لى أنك لست مبتهجًا للظفر بنا ، بقدر ما أنت سعيد بلقائنا .. أهذا صحيح ، أم أن حاستى قد أخطأت هذه المرة ؟!

انطلقت من أعماق (هانكس) ضحكة قصيرة ، قبل أن يقول فى إعجاب واضح :

- يبدو أن حاستك لا تخطئ أبدًا يا سيّد (أدهم) .

بدت الدهشة على وجه (جيهان) ، فى حين تأمّله (أدهم) لحظة أخرى فى صمت ، قبل أن يقول فى هدوء حازم :

- اسمح لى أن أبدى دهشتى لهذا التحول المفاجئ ، فعندما افترقنا لآخر مرة ، لم يكن بيننا من المودّة ما يكفى لأن تشعر بالسعادة لرؤيتنا .

تنهّد (هانكس) ، وقال :

- لقد حدثت أمور كثيرة ، منذ افترقنا آخر مرة يا سيّد (أدهم) .

سألته (جيهان) ، ودهشتها تتضاعف :

- أمور مثل ماذا ؟

أجاب (هانكس) فى سرعة :

- لقد كشفنا أنك كنت محقًا فى تحذيرنا يا سيِّد (أدهم) ، وأن بلادنا تتعرَّض بالفعل لخطر داهم ، على يد شبكة جاسوسية داخلية بالغة الخطورة ، تعمل لحساب منظمة خارجية ، مازلنا نسعى لكشف أمرها الآن .

لاذ (أدهم) بالصمت لحظات أخرى ، قبل أن يميل نحوه ، قائلا :

- قل لى فى وضوح أيها المفتش : هل تنشد تعاوننا ؟!

اندفع (هانكس) يجيب ، وكأنما كان ينتظر هذا السؤال بالتحديد :

- بالضبط .

اعتدل (أدهم) ، وهو يسأله :

- مقابل ماذا ؟!

ابتسم (هانكس) ، وهو يجيب :

- ليست هناك حاجة للبحث عن مقابل يا سيِّد (أدهم) .. أعترف أن الأسلوب الذى اتبعناه فى إحضارك إلى هنا بدا عدائيًا للغاية ، ولكننا فعلنا هذا خشية أن تفرَّ منا ، فنقاسى الأمرين ثانية للبحث عنك .

ثم مال نحوه ، واتسعت ابتسامته ، مستطردًا :

- على الرغم من أن ملفك لدينا لم يعد يحتلّ مكانًا وسط ملفات الأعداء ، بل انتقل إلى خانة أخرى .

والتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يضيف :

- خانة الأصدقاء .

قفزت دهشة (جيهان) إلى الذروة مع عبارته ، وكادت تصرخ متسائلة :

- وكيف هذا ؟!

إلا أنها كتمت تساؤلها هذا فى أعماقها ، وتركت (هانكس) يفسِّر الأمر ، قائلًا :

- لست أدرى كيف لم ننتبه منذ البداية إلى أنك تعمل لصالحنا يا سيِّد (أدهم) .. لقد كشفت لنا أمر خائنين ، وحذرتنا من شبكة التجسُّس .. بل ونسبت لنا نجاحك فى تخليص سفيركم من أسره ، حتى لا تضعنا فى موقف حرج .. يبدو أننا ندين لك بالاعتذار ..

ثم مد يده يصافحه فى حرارة ، قائلًا :

- والآن ما قولك فى أن نتعاون بصفة رسمية هذه المرة ؟

أجابه (أدهم) فى حزم :

- هذا ما أسعى إليه منذ البداية .

تمتمت (جيهان) فى دهشة عارمة :

ـ وأنا التى تحدثت عن الروايات التقليدية !!

استغرق الأمر نصف ساعة كاملة ، ليتبادل (أدهم) و (هانكس) ما لديهما من معلومات ، حول منظمة (الأفعى) وزعيمتها المجهولة ، ثم تنهد (هانكس) ، وابتسم وهو يصافح (أدهم) ، قائلا :

ـ يا إلهى ! .. لم أكن أدرك أن تعاوننا سيكون مثمرًا إلى هذا الحد .. كم يسعدنى أن نتعاون معًا دائمًا يا سيد (أدهم) .

نهض (أدهم) ، وهو يصافحه ، قائلاً :

ـ سنفعل بإذن الله أيها المفتش ، لو اقتضت الضرورة هذا .

أما (جيهان) فلم تنطق بكلمة واحدة ، أو تنبس ببنت شفة طوال الوقت ، واستمرت على صمتها هذا ، مكتفية بابتسامة مدروسة ، عندما أوصلهما (هانكس) إلى باب المبنى ، وتمنى لهما حظًا سعيدًا ، ولكنها لم تكد تبتعد مع (أدهم) ، حتى هتفت :

ـ كيف حدث هذا ؟! .. أكاد لا أصدق نفسي .. أعداء الأمس صاروا أصدقاء اليوم .. قل لى بالله عليك : أنحن جزء من رواية سينمائية هزلية ، أم أننا نحيا فى عالم الواقع ؟!

ابتسم قائلاً :

ـ ما رأيك أنت ؟

أجابته فى شىء من العصبية :

ـ رأيى أن كل ما حدث يدهشنى بحق ، وخاصة موقفك ، عندما أخبرت مفتش المباحث الفيدرالى الأمريكى هذا بكل ما لدينا من معلومات ، حول منظمة (الأفعى) ، كما لو أنك تتبادل معه حديثًا وديًا .

أجابها فى هدوء ، لا يخلو من الحزم :

ـ المنظمات التجسسية الدولية الخاصة خطر يتهدد الجميع ، ومن الطبيعى أن نتبادل كل ما لدينا من معلومات عنها ، حتى يتسنى لنا القضاء عليها يومًا .

هزت كتفيها ، قائلة :

ـ فليكن .. أنت الرئيس والأكثر خبرة ، ومادمت ترى أن هذا صحيح فهو كذلك حتمًا ، ومن يدرى ؟! .. ربما تحصل أيضًا على مكافأة مقابل هذا ، و ..

توقف (أدهم) بغتة ، قبل أن تتم عبارتها ، وضغط ساعدها بأصابعه ، على نحو جعلها تلتفت إليه هاتفة :

ـ ماذا حدث ؟!

أدهشتها تلك النظرة المطلة من عينيه ، فاستطردت فى انفعال :

- (أدهم) .. لا تقل لى : إنك قد توصلت إلى حل ما ، كما يحدث فى الروايات التقليدية !!

حملت نظرته ونبراته رنة ظافرة ، وهو يقول فى حماس :

- بل هذا ما حدث بالضبط يا عزيزتى .. لقد التقطت طرف الخيط ، الذى يمكن أن يقودنا إلى السنيورا !

واتسعت عيناها بشدة وانبهار ، وهو يخبرها بالفكرة التى قفزت إلى رأسه بغتة .

وكانت فكرة مدهشة ..

مدهشة بحق .

★ ★ ★



٦ - العودة ..

بدت اللهفة على وجه السفير المصرى فى (واشنطن) عندما تلقَّى الرسالة المنتظرة ، عبر البريد الفيدرالى السريع ، وأسرع بها بنفسه إلى الحجرة التى يجلس فيها (أدهم) و (جيهان) ، و (ناشد) قائلًا :

- لقد وصلت الرسالة .

كانت (جيهان) منهمكة فى العمل على جهاز كمبيوتر متطوِّر ، فى حين هبَّ (أدهم) من مقعده ، واختطف الرسالة من يد السفير ، وفضَّها بسرعة ، وألقى نظرة حانية مشفقة على الصور الأصلية لـ (منى) ، التى ترقد فاقدة الوعى ، ثم قرأ الرسالة فى اهتمام ، وانعقد حاجباه فى شدة ، قبل أن يبلغ نهايتها ، وتمتم :

- ياللعينة !

اعتدلت (جيهان) ، وتطلَّعت إليه فى تساؤل قلق ، فى حين سأله السفير متوترًا :

- ما الذى تحمله تعليمات الأفعى هذه المرة ؟!

تنهَّد (أدهم) قبل أن يجيب :

- إنها ليست تعليمات ، وإنما مقايضة مباشرة ، ومبتذلة .

ثم راح يقرأ الرسالة بصوت مسموع :

- هل رأيت صور زميلتك الحبيبة ، وراجعت تقاريرها الطبية بنفسك يا عزيزى (أدهم) ؟! .. أراهن على أنك تدرك الآن أنه لم يعد أمامها الكثير ، فإما أن تحظى برعاية طبية أفضل ، خلال ثمان وأربعين ساعة فحسب ، أو تلفظ أنفاسها الأخيرة هنا ، فى قبو قصرى .. وأعتقد أنك تدرك أيضًا أنه ما من سبيل لإنقاذها ، من مصيرها المحتوم ، سوى أن تدفع أنت بالتحديد ثمن هذا .. والثمن بسيط للغاية .. حياتك مقابل حياتها .. اتخذ قرارك بسرعة أيها العبقرى ، وثق بأن التلاعب أو محاولة الخداع لن تُجدى ، لأنك لن تتوصَّل إلى مكانها قط ، ثم أننى لا أتميَّز بالصبر ؛ فالمهلة التى أمنحك إياها لاتخاذ قرار نهائى فى هذا الشأن ، تنتهى فجر الغد .. أى بعد خمس عشرة ساعة فحسب من ساعة وصول هذا الخطاب إليك ، طبقًا لتقديراتى .. وتذكَّر .. حياتك مقابل حياتها .

وتنهَّد وهو يختم الرسالة ، ورفع رأسه إلى (ناشد) و (جيهان) والسفير ، مكملاً :

- ثم توقيع (السنيورا) ، مع رسم لأفعى .

انعقد حاجبا (جيهان) ، وضربت أزرار الكمبيوتر ، قائلة فى حدة :

- كم أتمنى لو أخنقها بيدى .

وقال (ناشد) متوترًا :

- إنها لا تمنحك خيارًا هذه المرة ، فإما أن تضحَّى بـ (منى) ، أو تسمح لها بالقضاء عليك .

زفرت (جيهان) فى عصبية ، وعادت إلى عملها على أزرار الكمبيوتر ، وهى تقول فى مرارة :

- وهذا يعنى أنه ليس هناك خيار ، فالسيِّد (أدهم) لن يضحِّى بزميلته الـ ... القديمة قط ، مهما كان الثمن .

شفَّت لهجتها عن نيران الغيرة ، التى تستعر فى أعماقها ، ولكن (أدهم) تظاهر بأنه لم ينتبه إلى هذا ، وهو يعاود قراءة الرسالة مرَّات ومرَّات ، وقد ران على الحجرة صمت ، مهيب ، قطعه وهو يقول بغتة :

- لدينا دليل واحد على الأقل .

توقَّفت (جيهان) عن عملها ، وهى تسأله فى حيرة :

- أى دليل هذا ؟

أشار إلى إحدى فقرات الرسالة ، مجيبًا :

- السنيورا تقيم فى قصر ، وليس فى منزل عادى .
بدت الدهشة على وجوه الجميع لحظات ، ثم قالت (جيهان) ، وهى تعود إلى عملها :
- وبم يمكن أن يفيدنا هذا ؟!
أجابها (أدهم) فى حزم :
- إنه يقلل دائرة البحث إلى حد كبير .
تبادل (ناشد) والسفير نظرة حائرة ، قبل أن يغمغم الأخير :
- العالم ملىء بالقصور ، وأنت تقول : إنك لا تدرى فى أية دولة تختبئ تلك السنيورا ، و ...
قاطعته (جيهان) فجأة ، بصوت يموج بالانفعال :
- فى (المكسيك) .
انعقد حاجبا (ناشد) فى شدة ، وبدا وكأنما أشعل قولها شيئًا ما فى أعماقه ، فى حين التفت إليها (أدهم) فى اهتمام بالغ ، وهتف السفير فى دهشة :
- وكيف أمكنك تحديد هذا ؟
- أشارت إلى الكمبيوتر ، وهى تقول فى حماس :
- بسبب الخطأ الذى وقعت فيه السنيورا .. طرف الخيط المُهمَل ، الذى لم تنتبه إليه ، على الرغم من حذرها الشديد ، والذى انتبه إليه رئيسى العبقرى .

ثم اعتدلت ، هاتفة :
- التحويل البنكى ، الذى تقاضى بوساطته (هايدن) أجره .
اقترب منها (أدهم) فى اهتمام ، ليلقى نظرة على شاشة الكمبيوتر ، فى حين غمغم السفير فى حيرة :
- تحويل بنكى .
أجابته (جيهان) بسرعة :
- نعم .. منذ وصلنا إلى هنا ، ونحن نسعى لاختراق نظام الكمبيوتر ، للبنك الذى كان يتعامل معه (هايدن) ، لمعرفة الجهة التى وصله منها التحويل البنكى ، والآن فقط أمكننى التوصّل إلى هذا ، وعرفت أنه تلقّى التحويل من بنك فى المكسيك ، ومن حساب امرأة تحمل اسم (ماريا بوناسيو) .. ولا ريب فى أنه الاسم المستعار للسنيورا اللعينة .
هتف (أدهم) فى حماس :
- رائع يا (جيهان) .. رائع .. إذن فالسنيورا تختفى فى (المكسيك) .. قصر فى (المكسيك) .. دائرة البحث تضيق أكثر وأكثر .
انعقد حاجبا (ناشد) فى شدة ، وهو يقول فى حذر :
- وربما تنحصر فى نقطة واحدة .

التفت إليه الجميع ، وسأله (أدهم) :

ـ أيعنى قولك هذا شيئًا محدودًا ؟

أومأ (ناشد) برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ـ بالتأكيد .

والتقط حقيبته الخاصة، وفتحها مستطردًا :

ـ أنت تعلم يا سيادة العقيد أن لنا مندوبين فى كل دور النشر ، فى معظم دول العالم ، وأن الغرض من وجودهم هو الحصول على المعلومات التى يتم نشرها أولًا فأولًا ، والعمل على دراستها وتحليلها ، قبل حتى أن تصدر الصحف والمجلات بصفة رسمية ، ومنذ ساعة واحدة ، وافانى مندوبنا فى مجلة (تايم) بالطبعة التجريبية ، للعدد الذى سيصدر من المجلة صباح الغد ، ولقد جذب انتباهى فيه موضوع من ستة أسطر ، مع صورة أثارت حيرتى واهتمامى ، ولكننى لم أجد لها تفسيرًا منطقيًا إلا فى هذه اللحظة فقط ، عندما أشارت الزميلة (جيهان) إلى احتمال وجود قصر السنيورا فى المكسيك .

قال عبارته الأخيرة ، وهو يناول (أدهم) الطبعة التجريبية للمجلة ، فنهضت (جيهان) لتلقى نظرة على الصورة ، واشترك معها السفير فى هذا ، فى حين التقى

حاجبا (أدهم) ، وهو يتطلع إلى صورة القصر ، ويقرأ الكلمات المطبوعة أسفلها ، قبل أن يرفع رأسه ، قائلًا فى حزم :

ـ يبدو أن القدر يأبى التخلى عنا أيها السادة .

سألته (جيهان) فى لهفة :

ـ هل تعتقد أن هذا القصر هو ..

قاطعها ، وعيناه تتألقان على نحو مهيب :

ـ سنناقش هذا فى طريقنا إلى (المكسيك) ، فالوقت الذى لدينا أضيق من أن نضيع منه لحظة واحدة .

وسرت انتفاضة فى أجساد الحاضرين ، مع الحزم والصرامة ، اللذين نطق بهما عبارته الأخيرة ، وأدرك الجميع ، دون أن يتبادلوا كلمة أو نظرة واحدة ، أن القتال قد دخل بالفعل مرحلة جديدة ..

مرحلة مواجهة مباشرة ..

وحاسمة ..

★ ★ ★

انتفضت الكلمات على شفتى الطبيب ، من فرط الانفعال ، وهو يشير إلى (منى) قائلًا :

ـ إننى أخلى مسئوليتى عما يحدث هنا يا سنيورا ، فهذه الفتاة تموت بحق ، وما لم نوفر لها رعاية طبية

مناسبة ، فستلفظ أنفاسها الأخيرة فى غضون ساعات معدودة :

بدت ملامح السنيورا جامدة باردة ، وهى تقول :

ـ فليكن .. بعد ساعات معدودة لن تكون بنا حاجة إليها .

حدّق الطبيب فى وجهها بدهشة ، قبل أن يهتف مستنكرًا :

ـ أى قول هذا يا سنيورا ؟

ارتجف جسده مع لهجتها الصارمة ، وهى تجيب :

ـ القول الصحيح يا رجل .. إننى لم أكن أحتفظ بهذه الفتاة لأشغل عقلى بعلاجها ومداواتها .. ولا يعنينى إطلاقًا أن تستعيد وعيها أو تذهب إلى الجحيم .. لقد احتفظت بها لهدف محدود ، سيتحقّق بعد بضع ساعات ، ثم لا تعود بى حاجة إليها .

شحب وجه الممرضة بشدة ، وكادت تسقط فاقدة الوعى ، وهى تتمتم بصوت شديد الخفوت :

ـ ولا بنا .

تجاهلت السنيورا الكلمة تمامًا ، وهى تقول فى صرامة :

ـ كل ما يعنينى أن تبقى على قيد الحياة ، حتى فجر الغد .

قال الطبيب فى توتر :

ـ لا يمكننى أن أضمن هذا .

ارتسمت على شفتيها ابتسامة ساخرة ، وهى تميل نحوه ، قائلة :

ـ من صالحك أن تضمن هذا ، فلو أنها لقيت مصرعها ، قبل أن أحقّق ما أنشده من وجودها ، سيغضبنى هذا بشدة ، ومشكلتى أننى أميل دومًا إلى الانتقام من كل من يغضبنى .. وبأبشع وسيلة ممكنة .

شهقت الممرضة هذه المرة ، وعجزت قدماها عن حملها ، فتهاوت على طرف فراش (منى) ، فى حين امتقع وجه الطبيب بشدة ، وعجز لسانه عن النطق تمامًا ، فاعتدلت السنيورا بنفس ابتسامتها الساخرة ، والتقطت سيجارة رفيعة طويلة من سجائرها ، وأشعلتها فى هدوء ، قائلة :

ـ أعلم أن دخان سيجارتى لا يناسب صحة مريضتنا الغالية .

ثم نفثت الدخان نحو (منى) مباشرة ، قبل أن تضيف فى صرامة :

- ولكن هذا لا يعنينى قط .

واستدارت تغادر المكان فى خطوات واسعة قوية ، والطبيب والممرضة يتابعانها فى خوف وارتياع ، فى حين شعرت هى فى أعماقها بالقوة والسيطرة ، ولكنها لم تكد تبلغ بهو القصر الفسيح ، حتى استقبلتها مساعدتها ، قائلة :

- رئيس الشرطة يريد التحدُّث إليك يا سنيورا ، ويقول : إن الأمر عاجل للغاية .

انعقد حاجبا السنيورا فى شدة ، وهى تسأله :

- ألم يشر إلى هذا الأمر يا (ماريا) ؟

هزَّت رأسها نفيًا ، وهى تجيب :

- مطلقًا يا سنيورا .. كل ما قاله هو أنه أمرٌ عاجل وهام للغاية .

ازداد انعقاد حاجبى السنيورا ، وهى تتجه إلى الهاتف ، وتلتقط سمَّاعته ، قائلة :

- أنا السنيورا .. ماذا لديك ؟!

أتاها صوت رئيس الشرطة ، عبر أسلاك الهاتف ، وهو يقول فى اضطراب :

ثم نفثت الدخان نحو (منى) مباشرة ، قبل أن تضيف فى صرامة : ولكن هذا لا يعنينى قط ..

ـ رجال المعمل الجنائى لم يعثروا على أدنى أثر لجثة المصوِّر الأمريكى يا سنيورا .. ولا حتّى عظمة واحدة محترقة .

قالت فى غضب :

ـ كنت أتوقَّع هذا ، وبخاصة عندما لم يعد أى من رجالى ، الذين أرسلتهم للتخلُّص منه .. لقد نجحوا فى إحراق الكوخ ، ولكنهم لم ينجحوا فى القضاء عليه .

ارتبك رئيس الشرطة ، واضطرب أكثر ، وهو يقول :

ـ آه .. بخصوص رجالك يا سنيورا ، لقد عثرنا على .. احم .. على جثثهم .

اتسعت عيناها بشدة ، وهىَ تهتف :

ـ جثثهم ؟!

أسرع الرجل يقول فى توتر بالغ :

ـ بعضهم أطلق عليهم النار ، وأخفى جثثهم وسط الأشجار الكثيفة ، المحيطة بالكوخ .

تفجَّرت موجة هائلة من السخط فى أعماقها ، واشتعلت نيران الغضب فى صدرها ورأسها ، وهى تقول :

ـ ما نوع السلاح الذى قتلهم ؟

صمت الرجل لحظة ، وكأنما يبحث عن الجواب ، فصرخت به فى ثورة :

ـ ما نوع السلاح ؟

ارتجف جسد الرجل وصوته ، وهو يجيب :

ـ هذا ما يدهشنى للغاية يا سنيورا .. إنها رصاصات من عيار خمسة وأربعين ، وهى رصاصات خاصة بمسدسات الشرطة هنا ، ولست أدرى كيف ..

قاطعته فى صرامة عصبية :

ـ مَنْ منْ رجالك يعرف بأمر (زوكرمان) ؟!

ازدرد الرجل القليل من لعابه فى صعوبة ، وهو يجيب :

ـ المفتش (بابلو) فقط يا سنيورا .

ثم استدرك فى سرعة :

ـ ولكنه واحد من أفضل رجالى ، فهو مطيع ، مخلص ، ينفذ الأوامر عادة دون مناقشة ، و ...

قاطعته بنفس الصرامة :

ـ أعطنى كل ما لديك من معلومات عنه .. اسمه .. عنوانه .. هواياته .. كل شىء .

حاول الرجل عبثًا أن يزدرد شيئًا من اللعاب ، عبر حلقه الجاف ، قبل أن يدلى لها بكل ما طلبته ، فقالت فى صرامة :

ـ فليكن .. سأتولَّى أنا الأمر .

اضطرب رئيس الشرطة أكثر ، وهو يقول :

- سنيورا .. أؤكِّد لك إن (بابلو) هذا ..

قاطعته فى لهفة لا تقبل المناقشة .

- قلت : إننى سأتولَّى الأمر بنفسى .

وأنهت المحادثة فى غضب حقيقى ، وراجعت بيانات (بابلو) ، قبل أن تغمغم :

- سأتولَّى الأمر نهائيًا .

وكان قولها هذا أشبه بحكم لا رجعة فيه .

حكم بالإعدام ..

★ ★ ★

وقف المفتش (بابلو) هادئًا ، أمام رئيس الشرطة ، فى مكتب هذا الأخير ، الذى بدا متوترًا للغاية ، وهو يقول :

- إنك تضع نفسك فى موقف شديد الصعوبة ، بإصرارك على أنه لا شأن لك بما حث عند كوخ الأمريكى يا (بابلو) .. كلانا يعلم أنك المسئول عن مصرع أولئك الرجال هناك ، فلا داعى للسخرية منى ، أو لإنكار الأمر ، فلن يلبث المعمل الجنائى أن يثبت أن الرصاصات التى قتلتهم انطلقت من مسدسك الرسمى بالتحديد .

هزّ (بابلو) كتفيه فى بساطة ، وهو يقول :

- عظيم .. دعنا ننتظر تقريرهم الرسمى إذن .

ثم التقط مسدسه من غمده ، ووضعه أمام رئيسه ، مستطردًا :

- وها هو ذا مسدسى الرسمى ، ليسهِّل عليهم مهمتهم .

رمقه رئيسه بنظرة تجمع ما بين الشكّ والحذر ، قبل أن يلتقط المسدس ، ويدنى فوهته من أنفه ، ثم يقول فى عصبية :

- هذا المسدس لم يُطلق منذ فترة طويلة .

ارتسمت على شفتى (بابلو) ابتسامة لم ترق له ، وهو يقول :

- ألم أقل لك ؟!

انعقد حاجبا الرجل أكثر ، وقال فى صرامة :

- المعمل الجنائى سيراجع الرقم المسلسل لمسدسك بالطبع .

أجابه (بابلو) بهدوء مستفز :

- بالطبع .

عاد الرجل يتطلَّع إلى المسدس طويلاً فى شك ، ثم رفع عينيه مرة أخرى نحو (بابلو) ، وقال فى توتر :

- (بابلو) .. حاول أن تتعاون معى .. إننى أفعل هذا لصالحك .

سأله (بابلو) ببراءة مصطنعة :

- وهل هناك وسيلة أخرى لتعاون أكثر يا سيّدى .

احتقن وجه رئيس الشرطة فى غضب ، وهتف به :

- كلا .. لا توجد وسيلة أخرى .. لقد بذلت كل ما بوسعى لمعاونتك ، ولكنك ترفض هذا .. هيا .. اغرب عن وجهى ، والويل ، كل الويل لك ، لو تبيّن لى أن لك يدًا فى هذا .. هيا .. اذهب .

أجابه (بابلو) بابتسامة أكثر استفزازًا ، وهو يغادر المكان :

- كما تأمر يا سيّدى .

واختنقت فى أعماقه ضحكة ساخرة شامتة ، ولم تجد مكانًا لتنطلق ، إلا عندما استقلّ سيّارته الصغيرة ، وابتعد بها عن المكان ، ليقول فى حزم :

- هيا يا رئيس الشرطة الوغد .. دع أعصابك تلتهب أكثر وأكثر ، حتى تفقد السيطرة عليها ، وترتكب الخطأ الذى أنتظره ، وعندئذ ..

لم يكن بحاجة إلى إتمام عبارته ، ليكمل المعنى المقصود ، لذا فقد اكتفى بمطّ شفتيه ، وهزّ كتفيه ، وهو ينطلق بالسيارة فى مسار معقّد ، وعبر عدد من الشوارع المتقاطعة ، ليطمئن إلى أن أحدًا لا يتبعه ، ثم لم يلبث أن اتجه إلى منزل هادىء ، فى أطراف المدينة

وأوقف سيّارته فى ركن خفى منه ، وصعد إلى طابقه الثانى فى خفة ، ودق بابه دقتين سريعتين ، وانتظر لحظات ، حتى انفتح الباب ، وأطلّ منه (جان زوكرمان) ، هامسًا فى توتر :

- لماذا تأخّرت ؟! .. لقد أصابنى قلق شديد .

دلف (بابلو) إلى المكان ، وأغلق الباب خلفه فى سرعة ، وهو يقول :

- كنت أمارس اللعبة التى اتفقنا عليها مع الرئيس .. لقد اتهمنى صراحة بأننى المسئول عن مصرع المجرمين ، وطلب مسدسى لفحصه ، فمنحته إياه بكل هدوء ، مما أثار المزيد من عصبيته وتوتره :

سأله (زوكرمان) فى قلق :

- ألا تخشى أن يكشف أمرك ؟

هزّ (بابلو) رأسه نفيًا ، وقال :

- كلا ، فمسدسى من طراز (بريتا) ، وماسورته تنفصل عنه بالكامل ، ولقد استبدلت بها ماسورة أخرى لمسدس جديد ، لم ينطلق قط ، ثم غسلت فوهة مسدسى بالخل والكحول ، مما أزال أى أثر لرائحة البارود القديمة ، وعندما يطلقون رصاصة منه ، لمقارنتها بالرصاصات التى قتلت أولئك المجرمين ، سيجدون أنها

مختلفة تمامًا ، لأن العلامات التى يستدلّون منها على السلاح ، تنشأ من مرور الرصاصة فى الماسورة المخشخنة للمسدس ، ولقد استبدلت بماسورة مسدسى كما أخبرتك .

حدّق (زوكرمان) فى وجهه لحظات فى دهشة ، قبل أن يهزّ رأسه مبهورًا ، ويغمغم :

ـ يا لك من داهية !

ابتسم (بابلو) وهو يقول :

ـ إنه الجانب الأسود للخبرات المكتسبة من العمل .

سأله (زوكرمان) فى اهتمام :

ـ وهل تعتقد أننا سننجح فى كشف أمر رئيس الشرطة ، وصلته بالمنظمة السرية للسنيورا ، على الرغم من أننا وحدنا نعرف السر ، وموقع القصر ؟

أشار (بابلو) بيده ، قائلاً :

ـ الرجل من الطراز الذى يفقد السيطرة على أعصابه فى سهولة ، وعندما يحدث هذا ، فإنه سيرتكب بعض الأخطاء حتمًا ، وعندئذ ..

بتر عبارته بغتة ، وهبّ من مقعده بحركة حادة ، جعلت (زوركرمان) يهتف مذعورًا :

ـ ماذا ؟ .. ماذا حدث ؟!

أجابه (بابلو) فى توتر شديد :

ـ شخص ما يقترب من هنا .. بل شخصان أو ثلاثة .. لقد سمعت صوت مرورهم الحذر عبر الأشجار المحيطة بالمنزل ، من ناحيتين على الأقل .

تلفّت (زوكرمان) حوله فى ذعر ، قائلاً :

ـ يا إلهى ! .. لقد كشفوا مخبئى ، ولن يتركونى حيًا أبدًا .

اندفع (بابلو) نحو دولاب صغير ، وفتح أحد أدراجه ، واختطف منه مسدسين ، ألقى أحدهما لـ (زوكرمان) ، وهو يقول :

ـ لن نستسلم بسهولة .. سندافع عن أنفسنا حتى آخر رمق .

ولم يكد يتمّ عبارته ، حتى اخترقت الزجاج قنبلة دخان ، وانفجرت وسط المكان ، وانطلقت منها سحب كثيفة ، جعلت (زوكرمان) يسعل بشدة ، وهو يقول فى رعب هائل :

ـ رباه ! .. إنهم يكرّرون ما فعلوه بكوخى .. سيحرقوننا أحياء .

هتف به (بابلو) وهو لا يستطيع مقاومة سعاله :

ـ قاوم يا رجل .. قاوم بالله عليك ، وإلا اصطادونا كالجرذان .

قالها ، وهو يزحف نحو النافذة فى صعوبة ، ويرفع رأسه فى حذر للتطلع عبرها ، و ...

واتسعت عيناه فى دهشة ورعب ..

فهناك ، وعلى مسافة عشرة أمتار من المنزل ، رأى رجلين يقفان فى وضوح ، وعلى كتف كل منهما مدفع صاروخى ، يستعد لإطلاقه نحو المنزل ..

وبكل سرعته ، تراجع (بابلو) صارخًا :

ـ احترس يا (زوكرمان) .. احترس ..

ومع صيحته ، انطلق الصاروخ الأوَّل نحو المنزل ..

ودوَى الانفجار ..

وفى عنف ، اندفع جسداهما إلى الأمام ، وارتطما بالجدار المقابل ، وسقطت فوقهما عشرات الشظايا ، وهتف (زوكرمان) فى ارتياع :

ـ لا فائدة .. لقد عثروا علينا هذه المرة .. لا فائدة .

اتسعت عينا (بابلو) فى هلع ، وهو يحدِّق ، عبر الفجوة التى أحدثها الانفجار فى الجدار ، فى الرجلين ، اللذين صوبا مدفعيهما مرة أخرى إلى المنزل ، وسمع أحدهما يقول ساخرًا :

ـ وداعًا يا مفتش الشرطة الأحمق ، ويأيها الأمريكى العنيد .

وانتفض جسد (زوكرمان) فى عنف ، وقد أيقن من أن الصاروخ القادم سيحمل إليهما زائرًا بغيضًا لا فكاك منه ..

الموت ..

أما (بابلو) ، فقد بحثت يده فى توتر بالغ عن مسدسه ، الذى فقده مع الانفجار ، وتمتم فى مرارة :

ـ اللعنة ! .. اللعنة ! .. إننا نحتاج إلى معجزة لننجو من هذا .

واستعدَّ المجرمان لضغط زنادى مدفعيهما ، و ...

وفجأة ، حدثت المعجزة ..

فجأة ، برزت فتاة من بين الأشجار ، ووثبت تركل مدفع أحد الرجلين ، وهى تقول بالأسبانية فى سخرية :

ـ من العيب أن تحمل مدفعًا فى حضرة آنسة يا رجل .

كانت مفاجأة مدهشة للرجل ، الذى التفت إليها فى حدة ، هاتفًا :

ـ يا للشيطان ! .. ما هذا بالضبط ؟

ولم يكد يتمّ هتافه ، حتى كانت قدم الفتاة الثانية تركل أنفه فى قوة ، وهى تقول بنفس اللهجة الساخرة :

ـ فتاة جميلة أيها الوغد ، أم أن ملامحى لا تناسب هذا الوصف ؟!

سقط الرجل مع عنف الضربة ، فى حين استدار زميله إلى الفتاة ، وصوَّب إليها مدفعه ، صارخًا فى غضب :

- جميلة أو قبيحة .. اذهبى إلى الجحيم أيتها اللعينة !

ولكن أصابع فولاذية انغرست فى كتفه بغتة ، مع صوت صارم يقول :

- أسلوبك غير مهذَّب يا هذا .

التفت الرجل فى سرعة إلى مصدر الصوت الجديد ، وقبل أن تكتمل التفاتته ، استقبلته لكمة كالقنبلة فى أنفه ، ثم أعقبتها ثانية فى معدته ، وبعدها صاعقة اقتلعت ثلاثًا من أسنانه الأمامية ، وألقته فاقد الوعى ، والدماء تنزف فى غزارة من أنفه وفمه ..

أما زميله ، فقد حاول مهاجمة الفتاة ، إلا أنها تفادت انقضاضته فى مرونة مدهشة ، ثم وثبت إلى أعلى فى رشاقة ، وضمَّت ركبتيها إلى صدرها ، وهى تقول ساخرة :

- هذا عيب الاعتماد الدائم على الأسلحة النارية .

وفردت قدميها بحركة مباغتة ، ليرتطم كعبا حذاءيها بوجهه فى آن واحد ، وهى تستطرد :

- إنها تعلِّم حاملها الغرور .

ثم هبطت على قدميها ، وأصابت أنفه بلكمة قوية مباشرة ، مضيفة :

- والكسل .

هوى المجرم الثانى فاقد الوعي ، تحت قدمى الفتاة ، التى نفضت كفيها فى مرح ، قائلة لزميلها :

- ما رأيك ؟

هزَّ زميلها كتفيه ، قائلاً :

- لم يكن القتال متكافئًا .

ثم أشار إلى غريمها ، مستطردًا :

- بالنسبة له .

تنهَّدت فى ارتياح ، وهى تلقى نظرة على خصمها الفاقد الوعى ، فى نفس اللحظة التى نهض فيها (بابلو) ، وتقدَّم من الجدار المتهدِّم فى حذر ، وهو يسأل الرجل :

- لقد أنقذتما حياتنا ، ولكن من أنتما ؟ .. وكيف وصلتما إلى هنا ؟!

أجابه الرجل فى هدوء ، وبلهجة مكسيكية صميمة :

- ليس المهم كيف وصلنا ، وإنما المهم هو أننا وصلنا فى الوقت المناسب .. أما اسمى فهو (أميجو) .. (أميجو صاندو)(*) .

(*) راجع قصة (لمسة الشر) .. المغامرة رقم ٨٥

تردَّد (زوكرمان) لحظة ، وهو يتطلَّع إليه بدوره ، قائلاً :

- أعدوٌّ أنت أم صديق ؟!

ابتسم (أدهم صبرى) ، وأشار إلى الرجلين الفاقدى الوعى ، قائلاً :

- ما رأيك ؟!

أجابه (بابلو) فى سرعة :

- ربما كانت خدعة لكسب ثقتنا .

ابتسم (أدهم) ، فى حين ضحكت (جيهان) قائلة :

- فكرة رائعة يا رجل ، ولكنها ليست خدعة .. لقد أتينا لمقابلتكما خصيصًا بشأن الصورة .

سأله (زوكرمان) حذرًا :

- أية صورة ؟!

أجابه (أدهم) فى حزم :

- صورة ذلك القصر الغامض يا رجل .. الصورة التى تم نشرها فى مجلة (تايم) .. لقد أثارت انتباهنا ، وجعلتنا نستقلّ طائرة خاصة ، من (نيويورك) إلى هنا ، لنبحث عنك بالتحديد ، فقد أكدت تحرياتنا أنك وحدك تعرف موقع ذلك القصر ، الذى لقيت زوجتك مصرعها من أجله .

ثم التقى حاجباه ، وتضاعفت نبرة الصرامة والحزم فى صوته ، وهو يضيف :

- ونحن نريد معرفة موقع ذلك القصر يا مستر (زوكرمان) .. وبأى ثمن .

همَّ (زوكرمان) بسؤاله عن سر رغبتهما العارمة هذه ، ولكن فجأة ، اتسعت عيناه فى رعب ، وتراجع هاتفًا :

- رباه !

وعندما استدارت (جيهان) فى سرعة إلى حيث يحدّق ، وقع بصرها على مجرم ثالث ، يحتمى بجذع شجرة ضخمة ، ويصوّب مسدسه إلى رأس (أدهم) مباشرة ، و ...

ويطلق النار ..

وبإحكام .

★ ★ ★



٧ ـ الخيط ..

ارتجفت كل خلية فى جسد الممرضة المسكينة ، فى قبو قصر السنيورا ، وراح صدرها يعلو ويهبط فى انفعال ، والدموع تغرق وجهها ، وهى تقول للطبيب :

ـ ستقتلنا حتمًا .. أكاد أقرأ الأفكار التى تدور فى رأسها المجنون .. لن تسمح لنا بالعيش قط ، بعد أن كشفنا سرها .. إنها لم تفكّر لحظة واحدة فى إطلاق سراحنا ، منذ أحضرتنا إلى هنا .. إننى لم أعد أحتمل هذا .. لم أعد أحتمله أبدًا .

قالتها ، وانخرطت فى بكاء حار ، فحاول الطبيب تهدئتها ، على الرغم من ذعره الشديد ، الذى يجرى فى عروقه مجرى الدم ، وهو يقول :

ـ حاولى ألاّ تفكرى فى هذا يا عزيزتى .. كل ما نملكه الآن هو أن نؤدّى واجبنا فحسب .

هتفت فى مرارة :

ـ أى واجب هذا ؟! .. أن نرعى امرأة تحتضر ، دون أن نملك شيئًا لإنقاذها ؟! .. إننا لا نفعل شيئًا فى الواقع .. إننا فقط نشارك تلك البائسة مصيرها المحتوم .. الفارق الوحيد بيننا وبينها هو أنها لا تدرى بما ينتظرها ، فى حين نحيا نحن كل لحظة فى انتظار الموت .

التقط الطبيب نفسًا عميقًا ، قبل أن يقول :

ـ لا أحد يدرى ما الذى يمكن أن تحمله الدقيقة القادمة يا عزيزتى .. يمكنك أن تتخيّلى أننا فى حرب ، وأننا نبذل قصارى جهدنا لمساعدة مرضانا ، فى حدود الإمكانيات المتاحة .

بكت على صدره ، قائلة :

ـ لا أريد أن أموت .

ربّت على ظهرها ، مغمغمًا :

ـ الموت آت لا ريب ، ولا أحد يدرى متى ولا أين يموت ، ولا أحد ..

توقّف بغتة ، على نحو انتفض له جسدها فى عنف ، وهى ترتد عنه ، هاتفة فى ارتياع مذعور :

ـ ماذا حدث ؟!

أشار إلى رسّام المخ الكهربى ، وهو يقول فى توتر :

ـ هناك نشاط زائد فى المخ .

التفتت الممرضة فى دهشة إلى الخطوط المتعرّجة ، التى يرسمها الجهاز ، قبل أن تغمغم فى حيرة :

ـ عجبًا !.. كيف يمكن أن يحدث هذا ؟

مال الطبيب على الشريط الورقى ، ليفحص الخطوط عن قرب ، قبل أن يهزّ رأسه ، قائلاً :

ـ لست أدرى .. إنه نشاط مبالغ للغاية ، كما لو أنه يصدر عن شخص فى كامل وعيه ، يعانى توترًا شديدًا ، أو يواجه موقفًا عصبيًا .

التفتت الممرضة إلى (منى) فى دهشة ، ثم اندفعت نحوها ، تفحص نبضها ومعدّل تنفسها وبؤبؤ عينيها ، قبل أن تقول :

ـ ولكن .. ولكنها فاقدة الوعى بالفعل .

عدّل الطبيب وضع منظاره الطبى على عينيه ، وهو يقول متوترًا :

ـ هذا مؤشّر بالغ الخطورة بالفعل .

سألته الممرضة فى قلق :

ـ مؤشّر لماذا ؟!.. هل تعتقد أنها فى طريقها لاستعادة وعيها ؟!

صمت لحظة ، قبل أن يهزّ رأسه نفيًا ، ويجيب :

ـ ليس بالضرورة .. ربما هى مجرّد صحوة مخية .

ردّدت فى تساؤل :

ـ صحوة مخية ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، وتنهّد فى عمق ، قبل أن يعتدل ، مغمغمًا :

ـ نعم .. إنها حالة خاصة ، يمرّ بها أحيانًا بعض المصابين بغيبوبة عميقة كهذه .. نوبة من النشاط الزائد المباغت للمخ ، وكأنما انطلقت طاقته كلها دفعة واحدة ، ثم ...

بتر عبارته دون مبرّر ، وهو يهزّ رأسه على نحو أقلقها ، فسألته فى حذر :

ـ ثم ماذا ؟

تنهّد مرة أخرى ، وهى تتطلع إليها ، ثم أجاب :

ـ ثم تنهار الوظائف المخية ، و ...

وتسلّل حزن عميق إلى صوته ، مع استطرادته :

ـ ويأتى الموت .

شهقت الممرضة فى قوة ، ووضعت يدها على صدرها ، وعيناها تتعلقان بـ (منى) ، ثم ران على المكان صمت رهيب عميق ..

صمت أشبه بالضياع ..

أو الموت ..

★ ★ ★

كان الرجال الثلاثة ، الذين أرسلتهم السنيورا للتخلّص من (بابلو) و (زوكرمان) من المحترفين بحق ..

لقد تتبّعوا (بابلو) فى حذر وبراعة شديدين ، حتى أنه ، وعلى الرغم من خبرته ، لم ينتبه إليهم ، حتى بلغ المنزل ، الذى أخفى فيه (زوكرمان) ..

وعندما تأكّدوا من موقع الهدفين المطلوبين بالضبط ، انتقلوا إلى مرحلة التنفيذ ..

وكأى فريق من المحترفين ، تولّى أحدهم مراقبة الطريق ، فى حين حمل زميلاه مدفعين صاروخيين لتنفيذ المهمة ..

ثم ظهر (أدهم) و (جيهان) بغتة ..

وانقلبت الأمور كلها رأسًا على عقب ..

ومن مكمنه ، شاهد المحترف الثالث ما حدث ، وهرع إلى موقع القتال ، الذى لم يستغرق سوى دقيقة واحدة أو أقل ، قبل أن يسيطر (أدهم) و (جيهان) على الموقف تمامًا ..

وبكل غضبه وحنقه وحقده ، وبكل ما يعربد فى أعماقه من رغبة فى الثأر ، احتمى الرجل بجذع شجرة ضخم ، وصوّب مسدسه إلى (أدهم) ..

وأطلق النار ..

وبمنتهى الإحكام ..

ولكن الهدف لم يقف فى انتظار الرصاصة ..

لقد تحرّك بسرعة مذهلة ، قبل نصف ثانية من انطلاقها ، ووثب جانبًا ، فتجاوزته الرصاصة بسنتيمترات قليلة ..

وقبل أن يطلق المحترف رصاصته الثانية ، رأى (أدهم) يعدو نحوه كليث غاضب ..

وعلى الرغم من أن المحترف هو الذى يحمل السلاح ، وأن (أدهم) ينقضّ عليه بلا أسلحة ، فقد وجد الرجل نفسه يتراجع فى توتر شديد ، وهو يصرخ به :

ـ لا .. لا تقترب .

وعندما انطلقت رصاصته الثانية ، كان (أدهم) قد وثب نحوه كالفهد ، وأمسك معصمه ، وأبعد ماسورة المسدس عن جسده ..

وفى نفس اللحظة التى انطلقت فيها الرصاصة فى الهواء ، كانت قبضة (أدهم) تحطّم فك الرجل وأنفه بلكمتين ساحقتين سريعتين ، وتسقطه فاقد الوعى ..

وسط الصمت المهيب ، الذى خيّم على المكان ، ارتفع صوت تصفيق (جيهان) ، وهى تقول :

ـ مشهد رائع يا سيادة العقيد .. أهنئك .. أراهن على أن الرجل قد فقد وعيه ، قبل أن يدرك حتّى ما أصابه .

أجابها (أدهم) فى هدوء :

ـ المهم ألا يفقد وعيه لفترة طويلة ، فسنحتاج إلى استجوابه حتمًا .

هبط (بابلو) و (زوكرمان) إليهما فى سرعة ، وهتف الأوّل مبهورًا :

ـ من أنت يا رجل ؟! .. إنك تقاتل على نحو مدهش ، لم أر مثله فى حياتى قط !.. أأنت محترف ؟!

التفت إليه (أدهم) فى هدوء ، وهو يقول :

ـ بالتأكيد .. ولكن هذا لن يصنع فارقًا الآن ، فالوقت ضيق للغاية ، وأريد معرفة كل ما لديكما من معلومات ، حول ذلك القصر فى الصورة .

سأله (زوكرمان) فى حذر :

ـ قل لى يا سنيور (أميجو) : كيف عثرت علينا ؟!

أشار (أدهم) إلى الرجال الفاقدى الوعى ، الذين انهمكت (جيهان) فى تقييدهم فى ضجر ، وهو يقول :



كادت قبضة (أدهم) تحطّم فك الرجل وأنفه بلكمتين ساحقتين سريعتين ، وتسقطه فاقد الوعى ..

ـ بنفس الوسيلة التى عثر عليكما بها هؤلاء الأوغاد .. ففى طريقنا من (نيويورك) إلى هنا ، رحنا نجمع كل ما أمكننا من معلومات عن الصورة ، وعنك ، وعن زوجتك الراحلة ، وعن طريق عدد من معاونينا ورجالنا هنا ، عرفنا أمر احتراق كوخك ، واختفائك ، وعرفنا أيضًا أن رئيس الشرطة ليس فوق مستوى الشبهات ، وأنه يشكّ فى أن المفتش (بابلو) هو الرجل الذى أنقذك من الحريق المدبَّر ، والمسئول عن مصرع المجرمين ، الذين تسببوا فى حرقه ، وحاولوا قتلك ، وهكذا لم نكد نهبط من الطائرة ، حتى اتجهنا إلى مركز الشرطة مباشرة ، وحصلنا برشوة بسيطة على كل المعلومات الخاصة بالمفتش (بابلو) وعلى صورته ، فتبعناه وتبعنا المجرمين الذين يراقبونه إلى هنا .

ثم ابتسم ، مكملاً :

ـ خطة بسيطة .. أليس كذلك ؟

هتف (بابلو) فى حماس :

ـ بالنسبة لمحترف مثلك فحسب .

غمغم (أدهم) :

ـ أشكرك .. والآن ما الذى تعلمانه عن ذلك القصر ؟

أجابه (زوكرمان) بسرعة :

ـ موقعه فحسب .. وليس بدقة أيضًا .

وأضاف (بابلو) فى حماس :

ـ ويمكننا أن نقودك إلى المنطقة ، التى يمكنك رؤيته منها .

انعقد حاجبا (أدهم) ، وهو يقول :

ـ هذا لا يكفى أيها السيِّدان ؛ فلو أن هذا القصر هو وكر السنيورا ، فهو حتمًا قلعة حصينة ، لا يمكن دخولها أو حتى الاقتراب منها فى سهولة .

تبادل (زوكرمان) و (بابلو) نظرة متوترة ، قبل أن يغمغم الأوَّل :

ـ ولكن هذا كل ما تعرفه عنه .

تنهَّد (أدهم) فى توتر ، وقال :

ـ فليكن .. لست أنكر أن معرفة موقعه أمر بالغ الأهمية ، ولكن المعلومات الأخرى لا تقلّ أهمية أيضًا .

سأله (بابلو) :

ـ وكيف يمكن الحصول عليها ؟

أشار (أدهم) إلى المحترف الثالث ، قائلاً :

ـ بوساطة هذا الوغد .

ثم انحنى يحمل الرجل على كتفه فى بساطة مدهشة ، كما لو أنه يحمل طفلاً رضيعًا ، وهو يكمل فى حزم :

ـ ولكن ليس هنا ، فالمكان لم يعد آمنًا .

ابتسمت (جيهان) فى سخرية ، قائلة :

ـ ولِمَ ؟!.. لقد انفجر صاروخ واحد فحسب ، حتى أن أحدًا من رجال الشرطة لم يحاول القدوم لمعرفة سبب الانفجار ، ولو من باب الفضول .

مطَّ (بابلو) شفتيه ، وعقد حاجبيه ، وهو يقول :

ـ أراهن على أن لديهم أوامر بعدم الاقتراب .

أجابه (أدهم) فى صرامة :

ـ فليكن .. هذا ليس أمرًا غير متوقَّع ، ولا داعى لأن نضيع فى مناقشته لحظة واحدة .. هيا بنا .

كان من الواضح أنه لا يرغب بالفعل فى إضاعة لحظة واحدة بلا طائل ، وأن الوقت له قيمة قصوى بالنسبة إليه ..

هذا لأن الوقت يعنى بالنسبة إليه الفارق بين حياة وموت أحب الناس إليه ..

(منى توفيق) ..

(منى) التى لا يدرى أنها قد تلفظ أنفاسها الأخيرة ، قبل أن تنتهى المهلة ، التى حددتها السنيورا لموتها ..

قبل مطلع الفجر ..

★ ★ ★

قرأ مدير المخابرات المصرية فى عناية بالغة ، وللمرة الثالثة على التوالى ، التقرير المفصَّل ، الذى أرسله (ناشد) من نيويورك ، ثم تنهَّد فى عمق ، وهو يضعه على مكتبه ، ويرفع عينيه إلى نائبه ، قائلاً :

ـ كنت أعلم أن (أدهم) لن يتراجع ، قبل أن يستعيد (منى) ، حتى ولو ذهب إلى آخر الدنيا .

غمغم نائبه :

ـ (المكسيك) ليست آخر الدنيا .

أومأ المدير برأسه ، متفهِّمًا :

ـ بالتأكيد ، ولكنها المحطة الأخيرة فى هذا الصراع .

وارتسمت على شفتيه ابتسامة باهتة ، وهو يهزّ رأسه مكملاً :

ـ تمامًا كما يحدث فى أفلام السينما ، الأشرار تساقطوا واحدًا بعد الآخر ، والأعداء أصبحوا أصدقاء ، وبعدها يتفرَّغ البطل لمواجهة الشرير الرئيسى فى الفيلم .

وتنهَّد ثانية ، وتراجع فى مقعده ، ليسأل نائبه فى شىء من العصبية :

- هل تعتقد أن الأمر سيكتمل على نفس النحو المثالى ، الذى تنتهى به أفلام السينما ؟!.. البطل ينتصر ، ويظفر بالفتاة الجميلة ، ويهزم كل الأشرار ، ثم تأتى كلمة النهاية مع موسيقى حماسية .

حاول نائبه أن يبتسم ، وهو يقول :

- الحياة الواقعية تختلف كثيرًا عن أفلام السينما .

أجاب المدير فى شىء من الشرود :

- فى بعض الأمور الأساسية .

وشرد ببصره وتفكيره بضع لحظات ، قبل أن يتابع :

- ولكن من يدرى .

تطلّع إليه نائبه لحظة ، قبل أن يسأله فى اهتمام :

- سيّدى المدير .. لماذا تشعر بقلق زائد على (أدهم) هذه المرة ؟

هزّ المدير رأسه ، مجيبًا :

- لست أدرى .. ينتابنى شعور قوى هذه المرة ، بأنه يواجه خطرًا لا قبل له به ، وأن الأمور لن تسير معه بالطريقة نفسها ، التى تسير بها فى كل مرة .

ألقى نائبه نظرة على ساعته ، قائلاً :

- ما زالت أمامه ساعات خمس ، قبل المهلة التى حدّدتها تلك السنيورا الغامضة .. هل تحب أن نرسل له

مساعدة عاجلة ؟! .. لدينا ثلاثة من رجالنا فى (نيومكسيكو) ، و ..

قاطعه المدير :

- لن يصلح هذا .

وتنهّد للمرة الثالثة ، قبل أن يضيف :

- (أدهم) يبلغ فى المعتاد ذروة تألّقه ، عندما يعمل منفردًا .

ثم عاد إلى صمته وشروده لحظة ، وأكمل :

- كل ما يمكننا أن نفعله من أجله ، هو أن نتمنى له التوفيق .

قالها ، وكل ذرة فى كيانه تشعر بقلق لا مثيل له ..

قلق يختلف عن كل القلق الذى شعر به من قبل ، فى أية مهمة أسندها إلى (أدهم) ..

قلق يصرخ فى أعماقه ، بأن هذه المهمة سيكون لها طابع خاص ..

وأنها ستختلف عن كل ما سبقها ..

ستختلف تمامًا ..

★ ★ ★

انتفض جسد المجرم فى عنف ، وانطلقت من حلقه شهقة ، عندما ارتطم الماء البارد بوجهه ، واستعاد

وعيه دفعة واحدة ، وحدّق فى الوجوه المحيطة به ، ثم لم يلبث أن ارتجف فى قوة ، وأطلّت من عينيه نظرة ارتياع ، عندما توقّف بصره عند وجه (أدهم) ، الذى مال نحوه ، وتطلّع إلى عينيه مباشرة ، قائلاً فى صرامة :

- جميل منك أن استعدت وعيك بسرعة أيها الوغد ؛ فلم يكن لدينا ما نضيعه من وقت من أجلِ هذا .

قال الرجل فى ذعر ، وهو يحاول التخلُّص من القيود التى تربطه إلى مقعده الثقيل :

- ماذا تريد منى ؟!

أجابه (أدهم) باقتضاب مخيف :

- الكثير .

ثم مال نحوه أكثر ، وسأل :

- كيف يمكن دخول قصر السنيورا ؟!

حدّق الرجل فى وجهه لحظة ، قبل أن يقول فى عصبية :

- هل تتوقّع منى أن أتحدَّث معك فى أمر كهذا ؟

أجابه (أدهم) فى لهجة جمّدت الدم فى عروقه :

- لست أتوقَّع هذا ، وإنما أثق تمامًا بحدوثه ، فكما أخبرتك .. ليس لدى دقيقة واحدة يمكن إضاعتها ، وهذا

يعنى أننا لن أتورَّع عن القيام بأى عمل ممكن ، مهما بلغت قسوته ؛ لأنتزع منك كل ما أبتغيه من معلومات ، وسيكون من سوء حظك ألا تصدّق هذا ، أو تحاول معاندتى أو مقاومتى ، فسيكون ثمن ذلك غاليًا .. بل وأغلى مما يمكنك تصوّره .

تطلّع الرجل إلى عينيه فى توتر شديد ، وانفرجت شفتاه ليقول شيئًا ما ، ثم لم يلبث أن عاد يطبقهما ، ويهزّ رأسه فى عصبية ، قبل أن يقول فى حدة :

- لن يفيدك أى شىء أقوله ، فدخول قصر السنيورا مستحيل ، ما لم تسمح هى نفسها لك بهذا .

ابتسمت (جيهان) فى سخرية ، وهى تقول :

- هذا ما يتصوَّره أمثالك من الحمقى ومحدودى التفكير يا رجل ، أما الواقف أمامك فيمكنه أن يتحوّل فى غمضة عين إلى نسخة طبق الأصل منك ، بحيث تعجز أمك نفسها عن التمييز بينكما ، ويعبر بوّابة قصر السنيورا دون أن يشكّ مخلوق واحد فى أمره ..

التفت إليها الرجل ، قائلاً فى عصبية :

- حتى ولو فعل هذا ، لن يمكنه تجاوز البوّابة ، وهو على قيد الحياة ، فوسائل الأمن المتبعة تبلغ حدًا من الكمال ، يستحيل خداعه أو التحايل عليه .. إنهم

يفحصون كل من يدخل ، بكل الوسائل التكنولوجية المعروفة .. بصماته .. مقاييسه .. وحتى وزنه .. وهم يفحصون وجهه بالأشعة فوق البنفسجية ، ويتأكدون من طبيعة بشرته ، ويمرّرونه أمام جهاز أشعة (إكس) ، والأشعة دون الحمراء ، وحتى الموجات الصوتية .. هذا بالإضافة إلى الأسوار العالية المكهربة ، وأبراج الحراسة ، وأجهزة الرؤية الليلية ، التى تحيل ظلام الليل إلى نهار ، فى أعين رجال المراقبة ، وذلك النتوء الجبلى ، الذى يحمى قمة القصر ، ويمنع رؤيته من الجو ، ونقطة الحراسة فوقه ، لمنع أى إبرار جوى ، أو هبوط بالمظلات ، والمدفع المضاد للطائرات على الجبل ، و ...

بتر عبارته بغتة ، واتسعت عيناه فى ارتياع ، عندما انتبه إلى أنه يدلى إليهم بالفعل بكل ما يسعون إليه ، وارتجف جسده فى عنف ، وهو يقول :

ـ ولكن .. ولكنكم لن تبلغوا السنيورا أننى أخبرتكم بهذا .. أليس كذلك ؟

اعتدل (بابلو) ، وهو يقول :

ـ اطمئن أيها الوغد .. لن يبلغها أحد .. ومن يدرى ؟.. ربما لا يكون لها وجود عندما تعود .

سأله الرجل بصوت مرتجف :

ـ أعود من ماذا ؟!

هوى (بابلو) على فكه بلكمة كالقنبلة ، مجيبًا :

ـ من غيبوبة عميقة .

انعقد حاجبا (أدهم) فى غضب ، وهو يقول :

ـ كيف تضرب رجلاً أعزل ؟

قال (بابلو) فى حدة :

ـ أنا لم أضرب رجلاً ، وإنما لكمت مجرمًا .

صاح به (أدهم) :

ـ المهم أنه أعزل ومقيَّد إلى مقعده .

هتف (بابلو) غاضبًا :

ـ عجبًا !.. من أنت بالضبط يا رجل ؟!.. مندوب لجنة حقوق الإنسان ؟!

لوَّح (أدهم) بسبَّابته فى وجهه ، وهو يقول :

ـ اسمع يا رجل .. حتى فى أحلك المواقف ، هناك قواعد ينبغى اتباعها ..

اندفعت (جيهان) بينهما ، هاتفة :

ـ مهلاً .. الموقف لا يحتمل هذا .. الأفضل أن نبحث عن وسيلة لدخول قصر السنيورا .

انعقد حاجبا (أدهم) فى غضب ، وأشاح (بابلو) بوجهه فى عصبية ، فى حين قال (زوكرمان) متوترًا :

ـ مما سمعناه من هذا المجرم ، قبل أن يفقد وعيه ، يبدو لى أنه ما من وسيلة قط لدخول ذلك القصر .. من الواضح أن نظامهم الأمنى محكم تمامًا .

التفت إليه (أدهم) ، قائلاً فى حزم :

ـ لا يوجد نظام أمنى تام الإحكام .. هناك حتمًا ثغرة ما .

سأله (بابلو) فى عصبية :

ـ أرشدنا إليها إذن أيها العبقرى .

أجابه (أدهم) فى صرامة :

ـ سأفعل بإذن الله .

قالها ، وعبر الصالة الواسعة بخطوتين كبيرتين ، قبل أن يدلف إلى حجرته ، ويغلق بابها خلفه فى حزم ..

ولثوان ، ران على الصالة صمت ثقيل ، لم يلبث (زوكرمان) أن قطعه ، قائلاً فى ضيق وأسف :

ـ لم يكن هناك داع لمشادتكما يا (بابلو) .. من الواضح أنك أغضبت السنيور (صاندو) ..

تمتم (بابلو) :

ـ لم أكن أقصد هذا .

ولكن (جيهان) انبرت قائلة :

ـ لا بأس .. السنيور (صاندو) ليس من طراز الرجال ، الذين يمكن أن يلتهم الغضب عقولهم ، أو يعمي أبصارهم .. إنه رجل من طراز خاص ونادر .. وأؤكد لكما أن كل ما يشغل عقله الآن هو كيفية الوصول إلى هدفه ، ولكنه يحتاج أحيانًا إلى الوحدة والعزلة ، حتى يمكنه تركيز أفكاره ، ودراسة موقفه جيدًا .

ثم أشارت إلى باب الحجرة ، مستطردة فى لهجة تجمع ما بين الحزم والانبهار :

ـ ولكن تأكدا من أنه عندما يغادر هذه الحجرة ، سيكون قد وضع يده على الثغرة فى نظام السنيورا الأمنى ، وأعدَّ خطته لعبورها .

والتقى حاجباها ، مع إضافتها الحاسمة :

ـ وعندئذ ستتغيَّر الأمور ، وستبدأ المواجهة التى ينتظرها منذ البداية .. المواجهة الأخيرة .

وعاد الصمت يخيِّم على المكان كله ..

وعلى نحو أكثر مهابة ..

★ ★ ★

لا يوجد جهاز أمنى خال من الثغرات ..

هناك حتمًا وسيلة ما ، لتجاوز أى نظام أمنى ..

هذا ما تعلَّمه من والده (رحمه الله) منذ حداثته ..

وما تأكَّد منه بنفسه ، من طول عمله بالمخابرات العامة المصرية ..

ولكن فى هذه المرة ، يبدو نظام السنيورا محكمًا للغاية ..

لقد درست الأمر جيدًا ، وحاولت ألا تترك ثغرة واحدة ، يمكن أن ينفذ إليها منها خصومها ..

ولكنها بشر ..

مجرَّد بشر ..

مهما بلغ ذكاؤها وحرصها ..

ومهما بلغت عبقريتها ..

وما من بشر كامل ..

الكمال لله (سبحانه وتعالى) وحده ..

والعقول ، مهما أتقنت ، لا يمكنها الإحاطة بكل شىء ..

مستحيل !

دارت كل هذه الأفكار في ذهنه ، وهو يجلس وحده داخل تلك الحجرة ، محاولاً اعتصار عقله بكل طاقته ، للبحث عن الثغرة المنشودة ..

وطوال الوقت ، راح يتطلَّع إلى صورة القصر ، ويدرسها فى إمعان شديد ..

ولكن عقله شرد لحظات ، وانطلق يحلِّق فى سماء محبوبته ..

(منى) ..

ترى كيف هى الآن ؟!..

هل يحتمل جسدها الرقيق الضئيل كل هذا ؟!..

أما زالت على قيد الحياة حقًا ، أم أن تلك السنيورا اللعينة قد تخلَّصت منها ، فور إرسال الصور والتقارير الطبية ؟!..

هبَّت فى أعماقه عاصفة من الغضب ، عندما بلغ هذه النقطة بتفكيره ، وأقسم على أن ينتقم من هذه السنيورا شر انتقام ، لو أنها مسَّت شعرة واحدة منها ..

ثم تساءل للمرة الألف : من يمكن أن تكون تلك السنيورا ؟!

من تلك الأفعى ، التى تبغضه كل هذا البغض ، وتبذل كل هذه المساعى للقضاء عليه وتدميره ؟!..

وانطلق صوت يصرخ فى أعماقه : ومن تكون غيرها ؟!..

(سونيا جراهام) ..

إنها الأنثى الوحيدة ، فى هذا العالم كله ، التى تضمر له كل هذا الشر ..

وكل هذا الحقد ..

ولكن (سونيا) لقيت مصرعها بالفعل مع ابنه(*) ..

ثم إن الصوت الذى سمعه لم يكن صوتها المألوف !!..

هذا ما أدركته حواسه ..

ولكن ماذا عما يشعر به فى أعماقه ؟!..

ماذا عن الإيمان القوى فى أعماقه ، بأن (سونيا) لا تزال على قيد الحياة ؟!..

أهو مجرَّد أمل فى أن يكون ابنه منها أيضًا ما زال على قيد الحياة ؟! (**) ..

أم أنها قرائن تختفى فى عقله الباطن ، ويعجز عقله الواعى عن إدراكها أو استيعابها ..

أم هو حدس ، نمَّته الخبرة وسنوات القتال ، حتى صار أشبه بالرؤيا الواقعية ؟!..

انتبه فجأة إلى أنه تجاوز الفكرة الأساسية إلى أفكار جانبية ، فهزَّ رأسه فى قوة ، مغمغمًا :

- لا يا (أدهم) .. ليس لديك وقت لهذا .. ركز أفكارك على نقطة واحدة .. حياة (منى) قد تتوقَّف على دقيقة

(*) راجع قصة (الضربة القاصمة) .. المغامرة رقم ١٠٠

(**) راجع قصة (جزيرة الجحيم) .. المغامرة رقم ٨٤

واحدة تفقدها .. هيا .. قاتل لتتجاوز ذلك الجبل الضخم ، وتصل إلى الـ ...

بتر عبارته بغتة ، وتألَّقت عيناه فى شدة ، وهو يهتف :

- يا إلهى !

وبسرعة البرق ، راحت الأفكار تتدفَّق فى رأسه كالسيل ، وخفق قلبه فى قوة ..

حمدًا لله ..

لقد توصل إلى الثغرة ، التى سينفذ منها إلى قصر السنيورا ..

الثغرة التى ستقوده إلى المواجهة المنشودة ..

المواجهة الأخيرة .

★ ★ ★



٨ - الجبل ..

ألقت السنيورا نظرة متوترة على ساعة يدها ، التى أشارت عقاربها إلى منتصف الليل تقريبًا ، ثم رفعت عينيها إلى مساعدتها ، قائلة فى عصبية :

- لماذا لم يتصل الرجال أو يقدموا تقريرهم حتى الآن ؟!.. لقد أرسلتهم فى مهمة بسيطة للقضاء على رجلين ، وليس من المفترض أن يستغرقوا كل هذا الوقت .

أجابتها مساعدتها فى حذر :

- ربما لم يعثروا عليهما بعد .

لوَّحت السنيورا بيدها فى حدة ، قائلة :

- هراء .. أنا أستعين دومًا بالمحترفين .

تردَّدت المساعدة بضع لحظات ، ثم قالت فى حذر أكثر :

- هذا ما يحدث منذ البداية يا سنيورا ، ولكن ..

لم تكن بحاجة إلى إتمام عبارتها ، لتنتقل إليها المعنى المقصود ، فاحتقن وجه السنيورا فى غضب ، وانعقد حاجباها الجميلان فى شدة ، وقالت فى عصبية :

- لا أحد يتصرَّف بالأسلوب الأمثل .

ثم لوَّحت بذراعها ، مستطردة فى غضب :

- ولا أحد يطيع الأوامر كما ينبغى .

قالتها ، وأشعلت سيجارتها فى عصبية شديدة ، ونفثت دخانها فى قوة ، وتوقَّفت لحظات أمام نافذة حجرتها ، فى الطابق العلوى ، تتطلَّع إلى رجال الحراسة فى ساحة القصر ، ثم لم تلبث أن التفتت فى حركة حادة إلى الهاتف ، واختطفت سمَّاعته ، وضربت أزراره فى عصبية ، ولم تكد تسمع صوت محدثها ، حتى قالت فى حدة :

- أنائم أنت ؟.. استيقظ يا رجل ، وأخبرنى ماذا يحدث هنا .

هبَّ رئيس الشرطة من رقاده ، هاتفًا :

- أنا مستيقظ يا سنيورا .. ماذا هناك ؟.. ماذا حدث ؟!

قالت غاضبة :

- أرسلت رجالى للتخلُّص من مفتشك اللعين والمصوِّر ، ولكننى لم أتلق منهم أية تقارير حتى الآن .. ما الذى يحدث فى دائرتك ؟.. ألم تصلك أية أخبار بعد ؟!

جلس على طرف فراشه ، وهو يقول مرتبكًا :

- ولكننى كنت أعتقد أن كل شىء قد انتهى يا سنيورا .. لقد سمعنا جميعًا الانفجار فى الحى الشمالى ،

وأمرت الرجال بتجاهله ، حتى لا نعوق عمل رجالك ، والمفترض أن ..

قاطعته ثائرة :

ـ لا أريد أية افتراضات .. إنك لا تتقاضى أجرك لتمنحنى افتراضات غير مؤكَّدة ، ولا لتخبرنى بآرائك الشخصية .. أريد حقائق يا رجل .. هل تفهم ؟!.. حقائق .

ازدرد رئيس الشرطة لعابه فى صعوبة ، وهو يغمغم :

ـ بم تأمرين يا سنيورا ؟

أجابته فى عصبية :

ـ أرسل رجالك لبحث الموقف ، وأبلغنى كل ما تتوصَّل إليه أوَّلاً فأوَّلاً .. هل تفهم ؟

أجاب متلعثمًا :

ـ بالطبع يا سنيورا .. بالطبع .

أغلقت الهاتف فى عنف ، وهى تنفث دخان سيجارتها مرة أخرى ، فتمتمت مساعدتها :

ـ رويدك يا سنيورا .. أراك شديدة العصبية الليلة .

أجابتها السنيورا فى حدة :

ـ لا يروق لى أى موقف غير منتظم .. ثم إن هذه الساعات شديدة الحساسية ، وأكره أن يفاجئنى أى أمر غير متوقَّع خلالها .

سألتها المساعدة فى خفوت :

ـ وما الذى يمكن حدوثه ، خلال الساعات الخمس المتبقية ، قبل مطلع الفجر ؟!.. إنك تسيطرين على الموقف كله ، وتضعين (أدهم صبرى) هذا فى الخانة التى تريدينها بالضبط ، فهو لن يغامر بحياة زميلته الأثيرة ، حتى ولو كان الثمن هو حياته نفسها .. أليس كذلك ؟!

عقدت السنيورا حاجبيها الجميلين ، وهى تقول فى عصبية :

ـ لا يمكنك أن تتخيَّلى ما يمكن أن يفعله ذلك الرجل ، فى هذه الفترة .

ونفثت دخان سيجارتها مرة أخى ، قبل أن تستطرد :

ـ لم يكن ينبغى أن أمنحه كل هذه المهلة .

تطلَّعت إليها مساعدتها لحظة فى حيرة ، وقالت :

ـ ولكنه لا يعرف حتى أين يجدنا ، فما الذى يمكن أن يفعله ؟!

هزَّت السنيورا رأسها ، متمتمة :

ـ من يدرى ؟!

وعادت تلوذ بصمتها ، وتدخن سيجارتها لبعض الوقت أمام النافذة ، ثم التقطت سمَّاعة الهاتف الداخلى

هذه المرة ، واتصلت برئيس طاقم الأمن ، وقالت فى حزم :

- اسمعنى جيدًا يا رجل .. أريد أن تضاعف إجراءات الحراسة والمراقبة الليلة .. نعم لدى أسبابى لهذا .. أعلن حالة الطوارئ القصوى ، وانشر رجالك فى كل ركن فى القصر .. لا أريد أن تنجح نملة فى التسلل إلى هنا ، دون أن ترصدها أجهزتكم .. هل تفهم ؟!

وعندما أنهت الاتصال الداخلى ، سألتها مساعدتها :

- وماذا عن الفتاة ؟!.. هل ستقتلينها بالفعل ، مع مطلع الفجر ؟!

أجابتها فى صرامة :

- السنيورا لا تتراجع عن كلمتها قط .. لو أن (أدهم) لم يقدِّم حياته قربانًا لها ، عند مطلع الفجر ، فسأقتلها بنفسى .. وبلا رحمة .

قالتها ، وهى تعنى كل حرف من قولها ..

كل حرف ..

فلو لم يُحسم الأمر قبل مطلع الفجر ، ستقتل (منى توفيق) بنفسها ..

وبلا رحمة ..

★ ★ ★

انبطح (أدهم) على وجهه ، وهو يراقب قصر السنيورا بمنظاره المزوَّد بجهاز الرؤية الليلية ، وقال لزميلته (جيهان) فى حزم :

- كل شىء كما توقَّعته تمامًا .. لا أحد يمكنه الاقتراب من القصر لمسافة كيلو مترين كاملين ، دون أن يتمّ رصده وتحديد هويته .

سألته فى قلق ، وهى تفتح حقيبة كبيرة ، وتلتقط من داخلها أجزاء مدفع محدود :

- هل تعتقد أن تنفيذ خطتك أمر ممكن ؟!

رفع منظاره إلى ذلك النتوء الصخرى فوق القصر ، وهو يجيب :

- الجبل هو السبيل الوحيد لبلوغ القصر يا عزيزتى ، وهذه هى الثغرة الوحيدة ، التى تركتها السنيورا فى خطتها الأمنية المحكمة .. لقد اتخذت ما يلزم للتصدِّى لهجوم بالطائرات ، أو هبوط بالمظلات ، ووضعت مدفعًا مضادًّا للطائرات ، مع طاقم حراسة من أربعة رجال ، على قمة الجبل ، ولكنها لم تضع فى حسابها احتمال تسلّل متسلِّق جبال عادى .

قالت ، وهى تبدأ فى تركيب أجزاء المدفع :

ـ ربما لأن رجلاً واحدًا لا يمثّل خطرًا داهمًا فى المعتاد .

هزّ كتفيه ، متمتمًا :

ـ من يدرى ؟!

ونهض استعدادًا لبدء دوره ، فخفق قلبها فى عنف ، وقالت بسرعة ، وكأنها تحاول تأخيره فحسب :

ـ لماذا لم توافق على اشتراك (بابلو) و (زوكرمان) معنا فى الهجوم ؟

أجابها فى حزم ، وهو يعلّق حقيبته ، وأدوات تسلّق الجبل ، والحبل القوى على ظهره :

ـ اشتراكهما سيعوقنا بأكثر مما يساعدنا ، فـ (زوكرمان) مدنى ، ومصرع زوجته يغضبه ، ولن يتصرّف قط بأسلوب سليم ، و (بابلو) رجل شرطة ، غير مؤهّل لمثل هذا النوع من القتال ، ثم إن الدور الذى سيقوم به لا يقلّ أهمية عما سنفعله .

ثم اعتدل ، وأكمل فى صرامة :

ـ تذكّرى الأهمية القصوى للتوقيت يا (جيهان) .. الدور الذى ستقومين به بالغ الأهمية ، بالنسبة لنجاح مهمتى ، وأنا أعتمد عليك تمامًا .

تهدّج صوتها ، وهى تقول :

ـ لن أتردّد فى فعل أى شىء من أجلك .

أشار بسبّابته ، قائلاً :

ـ دون عواطف يا عزيزتى .. دون عواطف .

ترقرقت الدموع فى عينيها ، عندما استعد للانطلاق ، وتمتمت :

ـ خذ حذرك جيدًا .

التقط نفسًا عميقًا ، وأجاب :

ـ سأحاول .

ثم وثب من التبة الصخرية ، وتحرّك بسرعة نحو النقطة التى اختارها ، فتبعته ببصرها بضع لحظات ، قبل أن تطلق سراح الدموع الحبيسة فى عينيها ، لتنحدر على وجنتيها ، وهى تتمتم :

ـ وفّقك الله يا (أدهم) ، وحماك يا أحب الناس إلى قلبى .

وعادت تواصل عملها ، وقلبها ينتفض بين ضلوعها ، ويصرخ بأن هذه اللحظات قد تكون آخر لحظات تلتقى فيها به ..

فى الحياة الدنيا ..

أما هو ، فقد تحرّك فى سرعة وخفة ، ودار حول القصر كله ، حتى بلغ ما خلف الجبل ، ثم راح يتسلّق الصخور إلى قمته ..



ثم وثب من التبة الصخرية ، وتحرك بسرعة نحو النقطة التى اختارها ..

ولم يكن هذا بالمهمة السهلة أبدًا ..

لقد كان ذلك الجانب من الجبل يرتفع رأسيًا تقريبًا ، وربما كان هذا هو السبب الذى دفع النظام الأمنى للسنيورا إلى تجاهله ، كمنطقة يمكن أن يأتى منها الخطر ..

وطوال ساعة كاملة ، وبلا ملل أو تقاعس ، واصل (أدهم) تسلقه للجبل ، مستعينًا بكل قوته ، ومهاراته ، وإصراره ، وإرادته ..

حتى بلغ القمة ..

ولدقائق خمس ، ترك جسده يسترخى ، وراح يلهث بإيقاع منتظم ، فى محاولة لاستعادة نشاطه ، والسيطرة على أنفاسه ، وبدء المرحلة الجديدة من خطته المعقدة ، وألقى نظرة على ساعة يده ، ثم تمتم :

ـ حمدًا لله .. كل شىء يسير وفقًا للخطة .

واعتدل ليشدّ قامته ، ويليّن عضلاته المجهدة ، ثم رفع رأسه فى حرص ؛ ليلقى نظرة على رجال الحراسة عند القمة ، و ..

وفجأة ، التصقت فوهة مدفع آلى باردة بصدغه ، وسمع صوتًا خشنًا فظًّا ، يقول :

ـ انتهت الرحلة هنا يا رجل .

ومع نهاية القول ، برز ثلاثة رجال آخرون ، يصوبون إلى (أدهم) فوهات مدافعهم الآلية ، وعلى وجوههم ابتسامات تجمع ما بين الظفر والسخرية والشماتة ..

وكانت مفاجأة ..

★ ★ ★

لم يستطع رئيس الأمن العام فى (المكسيك) إخفاء حنقه وسخطه ، وهو يستقبل المفتش (بابلو) ، فى تلك الساعة المتأخرة ، ولم ينجح أيضًا فى كتم تثاؤبه ، قبل أن يقول فى شىء من العصبية :

ـ حسن أيها المفتش .. أتعشّم أن يكون السبب ، الذى طلبت من أجله مقابلتى فى هذه الساعة ، بالأهمية التى تتناسب مع الموقف .

أومأ (بابلو) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ إنه كذلك يا سيِّدى ، فهو يتعلق بالأمن العام .. أمن الوطن والمواطنين .

مطّ رئيس الأمن شفتيه بعدم اقتناع ، وسأل فى ضجر :

ـ أهو جريمة كبرى ، أم حالة رشوة كبيرة ؟

اعتدل (بابلو) فى مجلسه ، والتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يجيب فى حزم :

ـ بل خيانة يا سيِّدى .. خيانة عظمى .

اتسعت عينا الرجل ، ومال وجهه كله إلى الأمام فى دهشة بالغة ، وهو يحدّق فى وجه (بابلو) ، قبل أن يقول مذعورًا :

ـ خيانة عظمى ؟!.. هل تدرك جيدًا ما يعنيه هذا أيها المفتش ؟!

أجابه (بابلو) فى سرعة :

ـ تمام الإدراك يا سيِّدى ، حتى أننى أغامر بمستقبلى كله من أجل كشف الأمر ، وحماية الوطن .

التقى حاجبا رئيس الأمن ، وأطلّ اهتمام شديد من عينيه ، وهو يعتدل فى مقعده ، ويشبك كفيه أمام وجهه ، قائلاً :

ـ ماذا لديك بالضبط أيها المفتش ؟

وكأنما كان (بابلو) ينتظر هذا السؤال ، فقد اندفع يروى لرئيس الأمن العام كل ما لديه ، وما أخبره به (أدهم) ، عن السنيورا ، ومنظمتها الإجرامية ، وسيطرتها التامة على عدد من قادة الشرطة وولاة الأمر فى (المكسيك) ..

واستغرق هذا نصف ساعة كاملة ، لم يقاطعه الرجل خلالها مرة واحدة ، وإن حملت ملامحه العديد من

انفعالاته ، وهو يتابع تلك الحقائق المفزعة ، قبل أن يقول فى توتر :

ـ هذا الأمر خطير يا رجل .. خطير للغاية .. ألديك دلائل تؤيِّد أقوالك ؟!.. أعنى أوراق أو مستندات ، أو ..

قاطعه (بابلو) ، قائلاً :

ـ لو انتظرنا حتى نجمع الوثائق المطلوبة ، لأفلت الأمر من أيدينا يا سيادة الرئيس ، فالموقف يزداد تأزّمًا وتعقيدًا ، ولدى من الأسباب ما يجعلنى واثقًا من أن الأمور ستشتعل وتبلغ ذروتها ، فى هذه الليلة بالذات .

سأله الرجل فى دهشة متوترة :

ـ ولماذا ؟!

أجابه (بابلو) :

ـ لأن الأمور ستفلت من قبضة السنيورا لبعض الوقت ، فإما أن نستغل هذا ، ونضرب ضربتنا ، وإلا فستستعيد توازنها ، وتصبح أكثر قوة وبأسًا وشراسة ، وربما صار القضاء عليها عندئذ مستحيلاً .

تراجع رئيس الأمن فى مقعده ، وقد ازداد انعقاد حاجبيه ، وقال :

ـ ولكن إجراءً مخيفًا كهذا يستلزم وجود دلائل قوية أيها المفتش ، ولا يمكننى المخاطرة بالقيام بأية خطوة ،

دون أن أثق مائة فى المائة ، من أننى أسير فى الطريق الصحيح .

بدا التوتر على وجه (بابلو) وصوته ، وهو يقول :

ـ وما الدليل الذى يمكننى أن أمنحك إياه ، فى مثل هذه الظروف يا سيِّدى ؟

هزَّ الرجل كتفيه ، قائلاً :

ـ أى دليل ؟

ثم مال نحوه مستطردًا فى حزم :

ـ امنحنى حتى نقطة واحدة تؤيِّد أقوالك ، وسأطلق صفارة الإنذار الكبرى ، ولن تجد تلك السنيورا شبرًا واحدًا ، فى (المكسيك) كلها ، يمكن أن تختفى فيه منَّا ..

وسرت موجة عنيفة من التوتر فى أعماق (بابلو) ..

لقد قطع كل تلك الأميال ، ليصل إلى رئيس الأمن العام ، دون أن يحمل معه دليلاً واحدًا يدعِّم أقواله ..

والآن صار قاب قوسين أو أدنى من الجولة الأخيرة ، ولا يفصله عنها سوى دليل ..

دليل واحد ..

ولكن كيف يحصل على مثل هذا الدليل ؟!..

كيف؟!..

كيف ؟!..

كيف ؟!..

★ ★ ★

على الرغم من دقة الموقف وصعوبته ، على قمة الجبل ، لم ترتجف شعرة واحدة فى جسد (أدهم) ، وهو يواجه فوهات المدافع الآلية المصوَّبة إليه ، وإنما هتف متصنعًا الدهشة والفزع :

ـ ماذا حدث ؟!.. هل أصبح تسلُّق الجبال ليلاً محظورًا ؟!

أشار إليه الرجل الأوّل فى صرامة ، قائلاً :

ـ لا تحاول خداعنا يا هذا .. أكمل صعودك إلى هنا .. نريد أن نرى وجهك ويديك فى وضوح .

صعد (أدهم) إلى القمة فى بساطة ، وهو يواصل أداءه التمثيلى ، قائلاً :

ـ أنا مجرَّد متسلِّق هاو ، أخبرونى أن هذه القمة تمثِّل تحديًا ، فأتيت إلى هنا ، و ...

قاطعه أحد الرجال الأربعة فى غلظة :

ـ اصمت .

ثم أشعل أحدهم مصباحًا يدويًّا ، وصوَّبه إلى وجهه ، وهو يقول فى خشونة :

ـ لا أحد يتسلَّق الجبال ، دون الحصول على تصريح خاص ، ولو أنك طلبت تصريحًا بالتسلُّق هنا ، لما حصلت عليه أبدًا ، حتى ولو ..

وقبل أن يتمّ حديثه أطلق أحد زملائه شهقة قوية ، وحدَّق فى وجه (أدهم) ، هاتفًا :

ـ يا للشيطان !.. إنه ذلك المصرى .

وعند هذه النقطة ، لم يعد من الممكن أبدًا أن يواصل (أدهم) تمثيل دوره ..

فمن الواضح أن معظم رجال السنيورا يعرفون ملامحه ..

وهذا يعنى أنه من المحتَّم أن يتحرَّك على الفور ..

وهذا ما فعله ..

ففى سرعة مذهلة ، وفور أن نطق الرجل بعبارته ، مال (أدهم) جانبًا ، والتقط ماسورة مدفع أحد الرجال ، وجذبه معه فى قوة وسرعة ، ليضرب به أحد زملائه فى عنف شديد ، سقط معه الرجلان أرضًا ..

وفى الثانية التالية مباشرة ، كان ينقضَّ على الرجلين الآخرين ..

وفى قتاله هذا ، كانت هناك قاعدة واحدة ، لا يمكن التنازل عنها قط ..

قاعدة تحتّم ألا تنطلق رصاصة واحدة ..

أو يحدث ما ينبه السنيورا ، أو رجالها فى القصر ، إلى وجود قتال على القمة ..

لذا فقد تحرّك (أدهم) ، على الرغم من إصاباته ، بسرعة مذهلة ، لم يعهدها هو نفسه فى نفسه ..

وبوثبة مدهشة ، ومستخدمًا قدميه فى آن واحد ، ركل المدفعين الآليين من قبضتى الرجلين الآخرين ، ثم هبط ليلكم أحدهما فى أنفه ، ويدور على عقبيه ليطلق قنبلة فى فك الثانى ..

وفى نفس اللحظة ، التى سقط فيها الرجلان ، هبَّ زميلاهما من سقطتهما ، ووثب أحدهما محاولاً التقاط مدفعه الآلى ، فى حين قفز الثانى يطوّق (أدهم) بذراعيه ، هاتفًا بزميله :

- أطلق الإنذار يا رجل .. أخبر السنيورا أن المصرى هنا .

ولكن (أدهم) دفع مرفقه إلى الخلف بكل قوته ، ليغوص فى معدة الرجل ، الذى يطوِّق وسطه ، ثم أدار يده خلف كتفه ، ليقبض على عنقه ، وينتزعه من مكانه بكل قوته ، ويلقيه نحو زميله ، قبل أن يبلغ مدفعه ..

وعندما سقط الرجلان أرضًا ، قفز (أدهم) يركل المدفع الآلى بعيدًا ، ثم انقضّ عليهما كالليث ..

وبلكمة عنيفة ، أطاح بأحدهما بعيدًا ، فى حين انطلق الثانى يعدو ، وهو يهتف :

- النجدة .. النجدة يا رفاق .. المصرى هنا .

انطلق (أدهم) خلفه كالصاروخ ، ووثب وثبة هائلة ، ليهبط على الرجل كالصاعقة ، وهو يقول :

- اخفض صوتك أيها الوغد ، وإلا قطعت لسانك .

سقطا معًا فوق الصخور ، وراحا يتدحرجان مع قتالهما ، والرجل يجاهد للتخلّص من (أدهم) ، وهو يهتف مذعورًا :

- اتركنى .. اتركنى يا رجل .. لن أصرخ .. أقسم لك .

ودفع (أدهم) بقدميه بكل قوته ، وهبَّ واقفًا ، ولكن (أدهم) وثب بدوره ، وكال له لكمة قوية ، قائلاً :

- هناك وسيلة واحدة للتأكد من هذا .

أصابت اللكمة الرجل فى فكه مباشرة ، فتراجع نحو الحافة ، ثم فقد توازنه عندها ، فاتسعت عيناه فى رعب هائل ، واحتبست فى حلقه صرخة مختنقة ، وهو يضرب الهواء بذراعيه ، محاولاً التشبث بأى شىء ، قبل أن يهوى من حالق ، و...

وفجأة امتدَّت يد (أدهم) لتقبض على معصم الرجل ، وهو يقول ساخرًا :

ـ إياك أن تسىء فهمى يا رجل .

ثم جذبه ليعيده إلى الحافة فى عنف ، مستطردًا :

ـ فأنا لا أنقذ حياتك من باب الشفقة .

واستقبله بلكمة ساحقة فى فكه ، مضيفًا :

ـ وإنما أمنعك من السقوط نحو القصر فحسب .

هوى الرجل عند قدمى (أدهم) فاقد الوعى ، وهذا الأخير يردف :

ـ فهذا كفيل بإنذار الآخرين .

وألقى نظرة أخرى على ساعته ، قبل أن يجذب الرجل إلى حيث سقط رفاقه ، وراح يقيِّدهم جميعًا فى إحكام ، ويكمِّم أفواههم جيدًا ، قبل أن يلتفت إلى المدفع المضاد للطائرات ، مغمغمًا :

ـ أعتقد أن وجودك لم يعد له ما يبرِّره يا هذا .

وأخرج من حقيبته قنبلة زمنية ، ضبط ساعة توقيتها جيدًا ، ثم ثبتها عند قاعدة المدفع ، واتجه إلى الحافة ، وانحنى عندها يتطلَّع إلى المكان فى اهتمام شديد ..

ومن النظرة الأولى ، أدرك أنه كان مخطئًا ، عندما تصوَّر أنه لو ترك الرجل يسقط ، فسيهوى فى ساحة القصر ، وينذر الآخرين ..

فالحافة كانت تتجاوز ساحة القصر بكثير ..

كانت تمتدّ ، مع ذلك النتوء الكبير ، لتتجاوز القصر وساحته ، حتى حافة السور الضخم المحيط به ، وعند أطراف أبراج المراقبة بالتحديد ..

ولهذا لم يكن من الممكن أبدًا رؤية القصر من الجو ..

فذلك النتوء الطبيعى يحجبه تمامًا بالفعل ..

ويمثِّل حماية مدهشة ، فى الوقت ذاته ..

وعقبة ضخمة فى خطة (أدهم) ..

فحتى ينفذ ما اعتزم عليه ، ويهبط من الحافة إلى القصر ، سيكون عليه أن يتعلَّق بباطن النتوء ، لمسافة تتجاوز العشرين مترًا ، فى وضع من أكثر الأوضاع صعوبة وخطورة ، حتى بالنسبة لمحترفى تسلُّق الجبال ..

وليس هذا فحسب ، وإنما ينبغى أن يقطع هذه المسافة فوق رءوس رجال الأمن والحراسة ، وعلى مسافة عشرة أمتار فحسب من قمم أبراج المراقبة ..

وهذا ـ فى حد ذاته ـ خطر رهيب ..

يكفى أن يرفع فرد واحد من طاقم الأمن رأسه إلى أعلى ، أو يستدير شخص واحد من أبراج المراقبة إلى الداخل ، حتى ينتبه إليه ، ويكشف وجوده ومحاولته ..

وتفشل المهمة كلها ..

كان يدرك هذا الخطر جيدًا ، إلا أن شيئًا فى الدنيا كلها لم يكن يكفيه ليحجم عن محاولة الوصول إلى القصر ..

لا شىء فى الكون كله ، يمكن أن يثنيه عن القتال ، فى سبيل انقاذ واستعادة (منى) ..

لا شىء ..

وفى حزم ، راح يثبت حلقة معدنية كبيرة عند الحافة ، ثم عقد فيها طرف الحبل فى قوة ، وراح يتدلى هابطًا إلى أسفل ، ومتعلقًا بالحبل ..

وبالنسبة للأمتار الأربعة الرأسية ، لم تكن هناك مشكلة ، حتى بلغ الجزء الأفقى ، الذى يمتدّ لعشرين مترًا ، حتى يلتقى مرّة أخرى بجسم الجبل ، فوق الجزء الخلفى من القصر ؛ حيث حوض السباحة وصالة الألعاب الرياضية ..

وكان التعلق بهذا الجزء يحتاج إلى أسلوب خاص وأدوات غير تقليدية ، تجعل المرء أشبه بمن يزحف على السقف ..

وفى حرص شديد ، ثبّت (أدهم) حلقة أخرى عند الحافة السفلية للنتوء ، ثم مال بجسده إلى الداخل ،

وهو يثبت الحبل فى حزامه ، ليضع حلقة جديدة فى السقف السفلى للنتوء ..

وفى بطء وحرص ، وخطوة فخطوة ، راح (أدهم) يتقدّم نحو الداخل ، وهو معلق فى النتوء ، وظهره إلى أسفل ، وعيناه تختلسان النظر ، بين حين وآخر إلى برج المراقبة الأيسر ، الذى يطلّ عليه مباشرة ..

وفى ذلك البرج بالتحديد ، تثاءب الحارس ، وضغط زر جهاز الاتصال اللاسلكى ، وهو يقول فى ضجر :

ـ هنا (رامو) .. من البرج الثالث .. الساعة الآن الثانية والنصف ، وكل شىء على ما يرام .. هل من أوامر جديدة ؟!

أتاه صوت رئيس فريق الأمن ، وهو يقول :

ـ لا أوامر جديدة ، واصل المراقبة ، وأبلغ فورًا عن أى شىء يثير انتباهك أو شكوكك .

غمغم الرجل فى آلية :

ـ كما تأمر يا سيّدى .

وأنهى الاتصال ، وهو يتنهّد مغمغمًا فى ملل :

ـ ماذا أصابهم الليلة ؟.. ألا يكفينا احتمال هذه الوظيفة السخيفة ، حتى يحلو لهم إعلان حالة الطوارئ القصوى ، كلما عانت سنيورتنا الفاتنة من الأرق ؟

وهزَّ كتفيه ، وهو يتثاءب ثانية ، ويرتكن إلى جانب البرج ، و ...

وفجأة ، وقع بصره على (أدهم) ، فاعتدل فى حركة حادة ، وحدَّق فيه فى ذهول ، ثم اختطف مدفعه هاتفًا :

ـ يا للشيطان !..

وانطلقت رصاصة فى قصر السنيورا ..

قبل مطلع الفجر .





٩ ـ الدقائق الأخيرة ..

تنهَّدت (جيهان) فى توتر شديد ، وهى تلقى نظرة على ساعتها ، وعادت تضع المنظار المقرَّب ، المجهَّز للرؤية الليلية على عينيها ، وتراقب القصر من بعيد ، متمتمة :

ـ ألا يمضى الوقت قط ، عندما نتعجَّل الأمور ؟!

كانت المسافة بينها وبين القصر لا تتيح لها رؤية التفاصيل الدقيقة ، بوساطة ذلك المنظار الخاص ، إلا أنها لم تتوقَّف لحظة عن المراقبة ، خشية أن تتطوَّر الأمور دون أن تدرى ..

ومرة أخرى تنهَّدت فى حرارة ، وربتت على المدفع الذى انتهت من تركيبه ، والذى أصبح معدًّا للإطلاق ، وتمتمت :

ـ أعلم أن الموعد الذى حدَّده (أدهم) لم يحن بعد ، ولكننى لم أعد أحتمل .

كان توترها مضاعفًا هذه المرة لسبب ما ، لم يدركه عقلها الواعى أو يتوصَّل إليه قط ، وإن أنبأتها به

غريزتها الأنثوية ، وراحت تلتهب به بشدة ، حتى أنها راحت تسأل نفسها عما يمكن أن يعنيه هذا ..

لماذا ينتابها كل هذا القلق هذه المرة ؟!

لماذا ارتجفت بشدة ، وهى تودّع (أدهم) ؟!..

أى خطر هذا ، الذى يعبث بأوتار مشاعرها على هذا النحو ؟!..

أى خطر ؟!..

بذلت جهدًا خارقًا للسيطرة على مشاعرها ، وعلى قلقها العارم هذا ، إلا أن قلبها لم يتوقّف عن الخفقان فى عنف ، وهى تتمتم :

ـ ماذا سيحدث الليلة ؟!.. ماذا ؟

ثم عادت تضع المنظار على عينيها ، وتراقب القصر ، محاولة مقاومة قلقها ، و ...

وفجأة ، لمحت ذلك الوميض ..

لم تسمع أى صوت ، ولكن الوميض الخافت الذى لمحته ، ناحية البرج الشمالى ، لم يكن غامضًا ، بالنسبة لمحترفة مثلها ..

إنه وميض سلاح نارى ينطلق ..

وفى مثل هذه الظروف ، لم يكن هناك سوى تبرير واحد لانطلاق سلاح نارى ..

تبرير فجّر فى أعماقها المزيد والمزيد من القلق والخوف ..

وبقوة أكبر ، عاد قلبها يخفق ..

ويرتجف ..

ويرتجف ..

ويرتجف ..

★ ★ ★

انتبه (أدهم) إلى موقفه العصيب ، فى نفس اللحظة التى رفع فيها حارس البرج فوهة مدفعه الآلى ، ليطلق عليه النار ..

وعندما انتبه إلى هذا ، كان يثبت حلقة جديدة فى سقف النتوء ..

وكانت أمامه ثانية واحدة أو أقل ، ليدافع عن نفسه ، أو يمنع الحارس من إطلاق رصاصته ، حتى لا يشتعل الموقف قبل الأوان ..

وبسرعة مذهلة تخلّى (أدهم) عن الحلقة ، وانتزع مسدسه المزوّد بكاتم للصوت من حزامه ، وأطلقه على رأس الحارس مباشرة ..

وأصابت الرصاصة هدفها بدقة مدهشة كالمعتاد ، على الرغم من الوضع شديد الصعوبة ، الذى يتخذه جسده ..

واخترقت الرصاصة جبهة الحارس فى صمت ، فجحظت عيناه ، وترنَّح جسده لحظة ، ثم هوى جثة هامدة داخل البرج ..

ومع رد فعل انطلاق الرصاصة ، ارتجَّ جسد (أدهم) فى عنف ، وخرجت اثنتان من حلقات الحمل من موضعيهما ، فهوى جسده فى الفراغ ، وتشبَّث بالحبل فى قوة ، حتى صمدت الحلقة الثالثة ، فتأرجح جسده فى عنف ، ووجد نفسه معلقًا على ارتفاع عشرين مترًا ، من نهاية ساحة القصر ، بالقرب من البرج الشمالى ..

وحبس (أدهم) أنفاسه فى قوة ، وترك جسده يتأرجح فى بطء ، وهو يتطلَّع إلى ما تحته فى قلق ، خشية أن يكون أحد الحراس قد لمح وميض طلقة الرصاص الصامتة ، أو انتبه إلى ما أصاب حارس البرج ..

ومن تحته ، رأى رجال طاقم الحراسة فى مواقعهم ، وبعضهم يتحرك عبر الساحة ، ويتفقد عددًا من المواقع فى نشاط جم ..

وكان يكفى أن يرفع أحدهم رأسه لحظة واحدة ، ليقع بصره عليه مباشرة ..

ولكن من حسن حظه أن هذا لم يحدث ..

ولدقيقة ونصف الدقيقة تقريبًا ، تجمَّد (أدهم) فى مكانه ، يراقب تحركات رجال الحراسة ، حتى تأكَّد من أن أحدًا لم ينتبه إليه ، ثم بدأ يتسلَّق الحبل مرة أخرى ، و ...

وفجأة ، انتزع الثقل حلقة أخرى من موضعها ، فهوى جسده ثانية فى عنف ، حتى تعلَّق بالحلقة الأخيرة ..

وأدرك (أدهم) أن حلقات التثبيت لم تحتمل هذا الضغط المباغت ..

وأن الحلقة الأخيرة لن تلبث أن تنفصل عن موضعها ..

ودون أن يضيع لحظة واحدة ، راح (أدهم) يتأرجح بالحبل ، وهو يراقب ساحة القصر فى حذر ، محاولاً بلوغ برج الحراسة ، الذى قتل حارسه منذ دقائق ..

وانفصلت الحلقة الأخيرة من موضعها فى بطء ، وهو يتأرجح بزاوية أكبر وأكبر ..

ثم انفصلت الحلقة بغتة ..

وفى نفس اللحظة التى انفصلت فيها ، كان (أدهم) يثب نحو البرج ..



وفى نفس اللحظة التى انفصلت فيها ، كان (أدهم) يثب نحو البرج ..

ولثوان ، بدا الأمر وكأن (أدهم) لن يبلغ حافة البرج قط ، إلا أن أصابعه لم تلبث أن تشبثت بها فى اللحظة الأخيرة ..

ولكن الحبل واصل سقوطه ..

ومع الحلقة المعدنية الكبيرة فى طرفه ، أدرك (أدهم) أن ارتطامه بالأرض سيحدث دويًا عنيفًا ، يكفى لإطلاق أكبر صفارة إنذار فى القصر كله ، وإيقاظ الموتى فى قبورهم ..

وبحركة سريعة ، وعلى نحو غريزى ، أفلت (أدهم) إحدى قبضتيه عن حافة البرج ، والتقط بها طرف الحبل ، وأداره فى مهارة ، ليبعد الحلقة المعدنية عن جدار البرج ، ويمنعها من السقوط فى ساحة القصر ..

كان هذا الوضع الجديد مجهدًا للغاية ، ويخالف خطته تمامًا ، إلا أنه لم يتوقَّف لحظة واحدة ليفكِّر فى هذا ، وإنما عاد يتشبَّث بالحافة بيديه ، وهو يجذب الحبل إليه ، ثم استنفر كل ما تبقَّى من قوته ، ودفع جسده ليثب داخل البرج ..

وفى هذه المرة كان يلهث بشدة حقًّا ..

لقد بذل مجهودًا خرافيًا فى دقائق معدودة ، وبلغ به الانفعال مبلغه ، وهو يمرّ بالخطر فى كل ثانية ، قبل أن يبلغ هدفه الرئيسى ..

وإلى جوار جثة الحارس ، استلقى يلتقط أنفاسه ، ويراجع خطته كلها فى ذهنه مرة أخرى ، ثم لم يلبث أن مد يده يغلق عينى الحارس الصريع ، وهو يتنهَّد متمتمًا :

ـ لست أميل إلى القتل فى المعتاد يا رجل ، ولكن من سوء حظك أن الموقف لم يكن يحتمل أية حلول أخرى .

وظلّ قابعًا فى موضعه لحظات أخرى ، ثم نهض يتطلع عبر البرج إلى الساحة ، ليدرس مداخل ومخارج المكان ، ويحصى أعداد رجال الحراسة ، و ....

وفجأة ، فتح أحدهم باب حجرة المراقبة ، وهو يقول :

ـ أراهن على أن الملل كاد يقتلك يا رجل ، ولكن اطمئن ، فنوبتى تـ ..

التفت إليه (أدهم) فى سرعة مدهشة ، فتراجع الرجل فى حركة حادة ، وهو يهتف ذاهلاً مذعورًا :

ـ يا للشيطان !.. من أنت يا رجل ؟!

أجابه (أدهم) بلكمة كالقنبلة ، قائلاً :

ـ أنا سوء حظك أيها الوغد ..

دفعت اللكمة الرجل إلى الخلف فى عنف ، وكادت تسقطه فوق سلم البرج ، ولكن (أدهم) قبض على سترته فى سرعة ، وجذبه إليه ، ثم هوى على معدته

بلكمة ثانية ، قبل أن يلوى ذراعه خلف ظهره ، ويحيط عنقه بساعده ، وهو يسأله فى صرامة :

ـ أين الفتاة ؟!.. أين تحتفظون بها ؟!

اختنق صوت الرجل ، وهو يقول فى ألم :

ـ أية فتاة ؟

قال (أدهم) ، وهو يلوى ذراعه أكثر فى قسوة :

ـ الفتاة المريضة ، التى اختطفتموها من (نيويورك) .

شهق الرجل فى ألم ، وهو يهتف :

ـ إنها هناك .. فى القبو .. اللعنة .. إنك تكاد تكسر ذراعى .

لكمه (أدهم) فى ظهره ، قائلاً فى صرامة :

ـ وكيف يمكن الوصول إلى ذلك القبو ؟

تأوَّه الرجل ألمًا ، وهتف :

ـ إنه هناك .. فى الجانب الجنوبى للقصر .. ستجد بابًا رئيسيًّا أمام برج المراقبة ، وسيقودك هذا الباب إلى حجرة التحكُّم الصوتى للهاتف ، وبعدها ستجد القبو مباشرة .

جذبت كلماته انتباه (أدهم) ، فسأله :

ـ وما حجرة التحكُّم الصوتى للهاتف هذه ؟!.. ما فائدتها ؟

تأوّه الرجل مرة أخرى فى ألم ، قبل أن يقول :

ـ إنها تحوى أجهزة الكمبيوتر الخاصة ، التى تستخدمها السنيورا ، عندما تتحدَّث هاتفيًا ..

توتَّر (أدهم) أكثر ، وهو يسأله :

ـ ولماذا تستخدمها السنيورا ؟!

هوى الجواب عليه كالصاعقة ، والرجل يقول فى ألم :

ـ لتغيير صوتها .. إنها لا تحب أن يتعرَّف أحد على صوتها عبر الهاتف .. لاتحب هذا أبدًا ..

وانتفض جسد (أدهم) فى عنف ، عندما سمع هذا الجواب ..

وقفز إلى ذهنه اسم واحد ، تضخَّم بسرعة ، ليملأ عقله كله ، ويشتعل فى أعماقه ، ليلتهب به كيانه عن آخره ، وتصرخ به كل خلية من خلاياه ..

اسم الأفعى الحقيقية ..

(سونيا) ..

(سونيا جراهام) ..

★ ★ ★

لثوان ، امتلأ جسده كله بموجة هائلة من الغضب والانفعال ، وانتفضت عروقه فى توتر ، ثم لم يلبث

أن سأل الرجل بصوت مخيف ، حمل كل ما تموج به نفسه :

ـ أين توجد السنيورا الآن ؟

هزَّ الرجل رأسه نفيًا فى عصبية ، وهو يجيب :

ـ لست أدرى .. لا أحد يدرى .. إنها تتنقَّل بين ست حجرات نوم وحجرتى مكتب .. لا أحد يمكنه تحديد موقعها قط إلا فيما ندر ، أو حينما تستدعيه هى إليها .

تمتم (أدهم) فى غضب :

ـ لن يفيدها الحذر الزائد هذه المرة .

ثم أدار ذراع الرجل بحركة خاصة ، ليجبره على مواجهته ، وهو يستطرد فى صرامة :

ـ فليكن أيها الوغد .. هذا يكفينى .

ثم هوى على فكه بلكمة شديدة القوة ، ارتجَ لها جسد الرجل فى عنف ، قبل أن يسقط فاقد الوعى ..

وللحظات ، وقف (أدهم) يتطلَّع إلى الرجل معقود الحاجبين فى غضب ، وعقله يكاد يشتعل من تلك المفاجأة الأخيرة ، ثم رفع رأسه ، وقال فى صرامة غاضبة :

ـ لو أنك (سونيا) بالفعل أيتها السنيورا ، فسيكون حسابى معك عسيرًا .. عسيرًا للغاية .

وانحنى ينزع عن الرجل زى الحراسة المميَّز ، ويستبدله بثيابه ، ثم قيَده وكمَّم فمه بإحكام ، وألقى نظرة على ساعته ، وراح يهبط فى درجات سلم البرج فى حزم ، حتى بلغ قاعدته ، وهناك توقَّف عند بابه لحظات ، يختلس النظر إلى ساحة القصر ، قبل أن يتمتم :

- واحد .. اثنين .. ثلاثة رجال .. وربما هناك مثلهم عند الزاوية .

فحص الساحة ببصره مرة ثانية ، ثم قبض على المدفع الآلى ، الذى حصل عليه من حارس البرج ، ودفع الباب وخرج إلى الساحة ..

كان يتحرك وسط جيش من ألدّ أعدائه ، عبر الساحة الكبيرة التى جمعت ثمانية من رجال أمن السنيورا ، بخلاف خمسة آخرين ، يطلّون من نوافذ القصر ، وحرّاس الأبراج ، وعلى الرغم من هذا ، فقد بدا هادئًا متماسكًا ، وهو يعبر الساحة ، فى طريقه إلى الركن الجنوبى للقصر ، حيث باب القبو ، الذى يقود إلى المكان الذى ترقد فيه (منى) ..

وفى نفس اللحظة ، كانت السنيورا تشعل سيجارة أخرى فى حجرتها التى انعقدت فى سمائها سحب الدخان ،

وتتطلّع عبر النافذة ، إلى السحب الداكنة فى السماء ، التى تحجب ضوء القمر ، والتوتر يغمر كيانها كله ، فتثاءبت مساعدتها فى إرهاق ، وقالت :

- ثلاث ساعات وتنتهى المهلة يا سنيورا .. هل تعتقدين أن (أدهم صبرى) سيخضع للإنذار ؟

نفثت السنيورا دخان سيجارتها فى توتر ، قائلة :

- لن يفعل هذا بسهولة ، فهو لم يعتد الهزيمة أو الاستسلام ، وسينتظر حتى اللحظة الأخيرة ، ثم يحاول المناورة ويلجأ إلى الخداع .

وانعقد حاجباها فى شدة ، وهى تستطرد :

- ولكننى لن أمنحه الفرصة لهذا .

سألتها مساعدتها فى لهفة :

- وكيف ؟!

خفضت السنيورا عينيها إلى الساحة ، وهى تجيب :

- سأخبره أننى سأقتل زميلته ، لو أبدى أية مقاومة ، أو أى ..

بترت عبارتها على نحو مباغت ، وانعقد حاجباها فى شدة ، واحتبس دخان السيجارة فى حلقها ، حتى أنها سعلت فى قوة ، واحتقن وجهها كثيرًا ، فهبّت مساعدتها من مقعدها ، هاتفة :

- ماذا حدث يا سنيورا ؟!.. هل أستدعى الطبيب ؟

أشارت إليها السنيورا بيدها نفيًا فى عصبية قبل أن تقول بصوت مختنق ، يفيض بالانفعال :

- من هذا الرجل ؟

سألتها مساعدتها فى حيرة :

- أى رجل ؟!

أشارت السنيورا بأصابع مرتجفة إلى رجل يرتدى زى طاقم الحراسة ، ويعبر الساحة فى خطوات واثقة ، متجهًا إلى الجنوب ، وقالت فى عصبية :

- ذلك الطويل الممشوق هناك .. إنه ليس أحد رجالنا حتمًا .. إنه يبدو لى من هنا أشبه بـ ... بـ ...

لم تقو على إكمال عبارتها ، وهى تحدّق فى الرجل بعينين ملؤهما الذعر ، فتطلّعت إليها مساعدتها بدورها ، وغمغمت :

- لست أدرى .. إنه لا يبدو واضحًا من هنا ، ولكن ..

لم تعطها السنيورا الفرصة لتكمل ، وإنما اختطفت سمّاعة الهاتف الداخلى ، وضغطت زرها ، وقالت فى توتر شديد :

- أين أنت يا رئيس الأمن ؟!.. أين ؟!

أتاها صوته ، قائلاً :

- أنا هنا فى الساحة يا سنيورا .. كل شىء على ما يرام ، و ...

قاطعته فى عصبية شديدة ، وعيناها تتابعان الرجل ، الذى يواصل سيره نحو الجنوب :

- من ذلك الرجل ، الذى يعبر الساحة ؟!.. إننى لم أره من قبل قط .. تحرّ الأمر ، وارفع حالة الطوارئ فورًا .

بدت الدهشة فى صوت رئيس الأمن ، وهو يقول :

- لا بأس يا سنيورا .. لا بأس .. سأفعل كل ما يريحك .

صرخت فى غضب :

- بل افعل ما ينبغى أن تفعله أيها الوغد .

التقى حاجبا الرجل فى تبرُّم ، من الأسلوب الجاف الفظ ، الذى تتعامل به معه ، ولكنه غمغم ، وهو يتجه نحو الرجل :

- بالطبع يا سنيورا .. بالطبع .

ثم صاح :

- أنت هناك .. من أنت ؟.. وإلى أين تتجه ؟!

سمع (أدهم) الصيحة ، ولكنه تجاهلها تمامًا ، وكأنها ليست موجّهة إليه ، وواصل سيره بنفس السرعة والثقة ، فانعقد حاجبا السنيورا أكثر ، وقبضت على

معصم مساعدتها فى قوة آلمت هذه الأخيرة ، وهى تتابع الموقف ، فى حين هتف رئيس الأمن فى حدة :

- قف يا رجل .. إننى أتحدَّث إليك .

واصل (أدهم) تجاهله ، وزاد من سرعة سيره ، على نحو استفزّ رئيس الأمن ، فرفع فوهة مدفعه ، صائحًا :

- قف وإلا أطلقت عليك النار ..

وهنا أدرك (أدهم) أنه لم يعد هناك مفرّ من المواجهة ..

وأن لحظة القتال الحقيقية قد حانت ..

وبلا تردُّد ، ودون أن يضيع جزءًا من الثانية ، استدار (أدهم) يواجه رئيس الأمن ، الذى اتسعت عيناه فى ارتياع ، وصرخ :

- يا للشيطان !.. إنه أنت .

ولم تكد عبارته تكتمل ، حتى ضغط زناد مدفعه الآلى ..

وفى نفس اللحظة تقريبًا ..

وبفارق نصف ثانية بالتحديد ، أطلق (أدهم) رصاصاته ..

وصرخت السنيورا مع دوى الرصاصات :

- إنه هو .. إنه هو ..

ومع صرختها تفجَّرت الدماء من جسد رئيس الأمن ، واقتلعته رصاصات (أدهم) من مكانه ، ودفعته أمامها لثلاثة أمتار كاملة ، قبل أن يسقط جثة هامدة ، أمام أعين رجاله جميعًا ..

وهنا اشتعل الموقف عن آخره ..

وفُتِحَتْ أبواب الجحيم ..

★ ★ ★

بدا عقرب الدقائق فى عينى (جيهان) ، وكأنما حمل أثقال الدنيا كلها على كاهله ، وراح يزحف فى بطء مخيف ، وبلغ التوتّر فى أعماقها ذروته ، وهى تراقب القصر ، مغمغمة :

- هيا يا (أدهم) .. أثبت لى أنك ما زلت بخير ، وابدأ القتال .

لم يكن الوقت الذى حدَّده مسبقًا ، طبقًا للخطة ، قد حان بعد ، إلا أن كل خلية من خلاياها التهبت بالفعل ، من طول الترقُّب والانتظار ، وراحت تتمنّى لو بدأ القتال الآن طبقًا للقاعدة التى تقول : وقوع البلاء أفضل من انتظاره ..

وطوال الوقت ، لم تستطع أبدًا انتزاع ذلك القلق ، الذى يكاد يعصف بنفسها ..

ولا أن تخمد خوفها المبالغ على (أدهم) ..

أو تفهم سر تلك الانفعالات المضاعفة هذه المرة !!..

صحيح أن (أدهم) وحده هناك ، فى قلب قلعة السنيورا ، ووسط جيشها الأمنى كله ..

ولكن هذه لم تكن المرة الأولى ، التى يفعل فيها هذا ..

لقد واجه من قبل مواقف مماثلة ، وخرج منها سالمًا بفضل الله سبحانه وتعالى ، ومستعينًا ببراعته وجرأته ، وشجاعته الخرافية ..

وهى تثق تمامًا بقدراته المتفوقة هذه ..

وفى قدرته على مواجهة أصعب المواقف ..

ولكنها لا تستطيع منع نفسها من الارتجاف خوفًا ..

وفجأة ، قفزت إلى ذهنها فكرة عجيبة !

أمن الممكن أن تعود انفعالاتها الزائدة هذه ، إلى خوفها مما سيحدث ، عندما ينجح فى استعادة (منى) ؟!..

إنها لا تنكر أن (منى) زميلتها أيضًا ، وواحدة من أفضل صديقاتها فيما مضى ..

ولكنها الآن أصبحت غريمتها ..

غريمتها الوحيدة فى حب (أدهم) ..

وعندما ينجح فى استعادتها ، فإنه سيذوب فى حبها ثانية ، وسينسى أمرها هى تمامًا ..

وهذا يؤلمها بالتأكيد ..

ويثير غيرتها وحزنها ..

ولكن ، أمن الممكن أن يبعث فى أعماقها كل هذا الخوف ؟!

حاولت فى البداية إقناع نفسها بأن هذا هو السبب الحقيقى ، إلا أن غريزتها كأنثى رفضت هذا التبرير ، وأصرّت على أنه هناك سبب آخر لخوفها المبهم ..

سبب يتعلّق به هو ..

بـ (أدهم) ..

وخفق قلبها فى عنف ، عندما توصّل إلى هذه الحقيقة المخيفة ، ووجدت نفسها تهتف :

ـ ساعده يا إلهى !.. ساعده .

ولم يكد هتافها ينطلق ، حتى دوت الرصاصات فى القصر ..

وانتفض جسدها كله فى عنف ، وهى تصرخ :

ـ يا إلهى !.. (أدهم) .

ودون تفكير ، وقبل حتى أن يحين الموعد المنشود ، قفزت (جيهان) إلى المدفع ، صائحة :

- لا .. ليس (أدهم) .. ليس هو .

وأطلقت قذائفها ..

وبدأت المعركة الحقيقية..

★ ★ ★

لم تكد رصاصات (أدهم) تخترق جسد رئيس الأمن ، حتى بدأ القتال على الفور ، واستدارت كل فوهات المدافع نحوه ، والسنيورا تصرخ في حجرتها ، دون أن يصل صوتها إلى رجالها :

- اقتلوه .. إنه هو .. اقتلوه ..

أما (أدهم) ، فقد سيطرت على تفكيره نقطة واحدة ..

أن يصل إلى (منى) ..

وبأى ثمن ..

ومن هذا المنطلق ، أطلق رصاصات مدفعه الآلى فى كل اتجاه ، وهو يعدو بكل قوته نحو باب القبو ..

وكان المشهد أشبه بلقطة شديدة العنف ، فى فيلم كبير من أفلام الحركة ..

واستعاد ذهن (أدهم) ذكريات بعيدة ..

ذكريات أيام عمله فى القوات الخاصة بالجيش(*) ..

وذكرى حرب أكتوبر ..

واخترقت رصاصة فخذه الأيمن ، وشعر بثانية تغوص فى ظهره ، وثلاث أخريات يضربن ذراعيه وكتفه ..

وتفجَّرت منه الدماء فى غزارة ..

ولكن العجيب أنه لم يتوقَّف ..

ولم يُبطئ حتى من سرعته ..

وقد يتصوَّر البعض أننا نبالغ ، عندما نقول : إنه حتى لم يشعر بكل تلك الإصابات ..

لقد تحوَّل إلى آلة قتالية ، لا هدف لها إلا الوصول إلى (منى) ..

والذود عنها بكل قوته ..

وبحياته نفسها ، لو اقتض الأمر ..

ثم انطلقت قذائف مدفع (جيهان) ..

وكانت مفاجأة لرجال السنيورا ..

لقد تجاوزت القذائف الأسوار العالية ، وانفجرت فى ساحة القصر وجدرانه ..

ولم يعد الرجال يدرون أى عدو يواجهون ..

(*) راجع قصة (الخطوة الأولى) .. المغامرة رقم ٣١

ولكن السنيورا صرخت ، عبر أجهزة النداء الداخلية :

- لا تشتبكوا مع الآخرين .. اقتلوه هو .. اقتلوا ذلك الرجل .. لا تسمحوا له بالخروج من هنا حيًّا .. لا تضيعوا الفرصة .

ومع هذا التوجيه المباشر ، اتجه رجالها بأسلحتهم كلها نحو هدف واحد ..

نحو (أدهم) ..

وبقفزة أخيرة ، بلغ رجل المستحيل باب القبو ، ودفعه بقدمه ، و ....

ولم يستجب الباب ..

وفى هذه اللحظة ، أدرك (أدهم صبرى) أن طريق النجاة الوحيد مغلق فى وجهه ، فاستدار ليواجه خصومه بمدفع آلى ، شارفت خزانته النفاد ..

مدفع آلي واحد ، فى مواجهة أكثر من ثلاثين رجلاً بمدافعهم الآلية ..

ولم يكن عدم التناسب هذا فى صالحه ، مهما بلغت قدراته ..

ولم يكن هناك أمل واحد فى النجاة من موقف كهذا .. ولا أدنى أمل .

★ ★ ★

١٠ - من أجل عينيها ..

من المؤكَّد أن النجاة من موقف كهذا مستحيلة ، بأى مقياس منطقى أو طبيعى ..

وحتى مع قدرات رجل مثل (أدهم صبرى) ..

لقد كان يواجه كتيبة كاملة من المحترفين ، يحملون مدافع آلية قوية ، وهو لا يمتلك سوى مدفع آلى واحد ، فقد أكثر من نصف مخزونه من الرصاصات ..

ولم يكن يرتدى حتى تلك السترة الواقية من الرصاصات ..

لقد اضطر للتخلص منها ، حتى لا تزيد من وزنه ، وتعوقه عن تسلُّق الجبل ، والهبوط فى قصر السنيورا ..

وكان مصابًا بعدد كبير من الإصابات ..

والدماء تنزف من كل جزء من جسده تقريبًا ..

وفى موقف كهذا ، لا يمكن أن تتحقق النجاة إلا بمعجزة ..

أو بقنبلة !!..

ولقد أتت القنبلة من أعلى هذه المرة ..

من فوق رءوس الجميع ..

ففى نفس اللحظة التى صوَّب فيها الكل فوهات مدافعهم إلى (أدهم) ، والتى صرخت فيها السنيورا فى انفعال :

- هيا .. انسفوه .. اسحقوه سحقًا .

فى نفس اللحظة ، انفجرت القنبلة الزمنية ، التى وضعها (أدهم) عند قاعدة المدفع المضاد للطائرات ..

ومع انفجارها ، اشتعلت ذخيرة المدفع ، وانفجرت بدورها ..

وكان الانفجار هائلاً ، ارتجَّ له المكان كله واتسعت له عيون الجميع فى ارتياع ، فى حين طار المدفع المحطَّم عاليًا ، وهوى ليرتطم بالبرج الشمالى ، ويسحق جزءًا من قمته ، قبل أن يهوى فى ساحة القصر ، ويتحطَّم فوق ثلاثة من رجال السنيورا ..

وعلى الرغم من بشاعة المشهد ، إلا أنه لم يكن سوى بداية ..

ففى اللحظة التالية مباشرة ، ارتجَّ ذلك النتوء الصخرى الهائل ، ثم انفصلت عنه كتلة هائلة ، لتهوى فى مشهد لا يمكن لأبرع أدباء الرعب وصفه على نحو سليم ..

وتراجعت السنيورا شاهقة :

- يا للشيطان !

وتجمَّد عدد من رجالها أمام المشهد الرهيب ، فى حين صرخ آخرون فى رعب هائل ، وجرى ثلاثة أو أربعة محاولين الفرار ..

وسقطت الصخرة الهائلة ..

سقطت لتسحق الجانب الشمالى من الأسوار تمامًا ، وتسحق معه عددًا ضخمًا من الرجال ، وترَج القصر كله فى عنف مخيف ، كما لو أنها ألف زلزال ..

وتراجعت السنيورا أكثر وأكثر ، وهى تصرخ :

- مستحيل !.. مستحيل !

وهتفت مساعدتها فى رعب :

- أى رجل هذا ؟!.. لقد هدم الجبل .

انعقد حاجبا السنيورا فى غضب هادر ، وهى تردِّد :

- (منى) .

سألتها المساعدة فى ارتياع :

ماذا تقولين يا سنيورا ؟

صرخت السنيورا بكل غضب الدنيا :

- لابد أن تموت (منى) .. لن أسمح له باستعادتها أبدًا .

وضمَّت قبضتها أمام وجهها ، مستطردة فى ثورة :

- أبدًا .

وفى نفس اللحظة التي انطلقت فيها صرختها الأخيرة ، كانت الممرضة تهتف فى رعب ، داخل القبو الذى يضم (منى) الفاقدة الوعى :

ـ ماذا يحدث ؟!.. أهى حرب هائلة ، أم أنه يوم الدينونة ؟

ضمها الطبيب إليه ، فى محاولة لتهدئتها ، وهو يهتف :

ـ لست أدرى ، ولكنه أمر جلل بالتأكيد ، ويخيل إلى أن شيئًا هائلاً قد سقط .

ثم دفعها أمامه فى رفق ، وهو يسرع إلى حيث ترقد (منى) ؛ مستطردًا :

ـ ولكن دعينا لاننس هذه المسكينة .. لقد أفسد الارتجاج العنيف الكثير من الأمور .

كانت الممرضة زائغة البصر ، ترتجف من قمة رأسها حتى أخمص قدميها ، فعجزت تمامًا عن فعل أى شىء ، وهى تقول فى انهيار :

ـ أما من نهاية لهذا ؟!.. أما من نهاية للعذاب ؟!

أما الطبيب فقد راح يعمل فى سرعة ، ليعيد كل الأسلاك والأنابيب الدقيقة إلى مواضعها السابقة ، فى جسد (منى) ، حتى لا تلقى حتفها ، وهو يقول فى انفعال :

ـ يا للمسكينة !.. لقد خاضت أهوالاً ، وهى غارقة فى غيبوبتها ، ولكن من يدرى ، ربما كُتِبَت لها النجاة ، و ...

قاطعه صوت صارم قاس ، يقول :

ـ لا تأمل فى هذا .

التفت مع الممرضة إلى مصدر الصوت ، وصرخت الممرضة فى رعب ، مع مرأى المسدس المصوب إليهما ، فى حين هتف الطبيب :

ـ ماذا ستفعلين بهذا ؟

صاحت به فى صرامة :

ـ ابتعد .

هتف بها :

ـ لا تحاولى قتل تلك المسكينة .. إنها فاقدة الوعى ، و ..

صرخت وهى تطلق النار :

ـ قلت : ابتعد .

أصابت الرصاصة الجانب الأيمن لصدر الطبيب ، واقتلعته من موضعه ، ليرتطم ببعض أجهزة الفحص ، ثم بالجدار ، ويسقط مع عدد من الأجهزة والمؤشرات والخراطيم الدقيقة أرضًا ..

وبكل الرعب فى أعماقها ، راحت الممرضة تطلق الصرخات ، وهى تتراجع لتلتصق بالجدار ، فى حين اندفعت المرأة نحو (منى) ، وصوّبت إليها المسدس ، قائلة فى حدة :

ـ صحيح أنك فاقدة الوعى ، ولكنك تستحقين هذا ..

وجذبت زناد مسدسها ..

ودوت الرصاصة فى المكان ..

★ ★ ★

انتفض جسد (جيهان) فى عنف ، مع دوى الانفجار الهائل فى قمة الجبل ، واتسعت عيناها بشدة ، عندما رأت تلك الصخرة الرهيبة تنفصل عن النتوء ، وتسقط فى مشهد نادر ، لتسحق الأسوار والرجال ..

وصرخت (جيهان) :

ـ يا إلهى !.. (أدهم) .

ثم اختطفت مدفعًا آليًا قصيرًا ، وقنبلتين يدويتين ، وقفزت من فوق التبة الصخرية ، وراحت تعدو بكل سرعتها نحو القصر ..

ولم تدر كم استغرقت بالضبط ، حتى وصلت إليه ، ولا كم من الصخور اعترض طريقها ، وهى تتجه إلى هدفها ..

ولا حتى كيف تعاملت معها ..

هل دارت حولها ، أم قفزت فوقها ؟!..

أو هل اخترقتها ؟!..

إنها لا تدرى ولا تذكر ..

ولا يعنيها حتى أن تفعل ..

كل ما يهمها هو أنها وصلت فى النهاية إلى القصر ، وقفزت إلى ساحته عبر الفجوة الكبيرة فى الجدار الشمالى ، ورأت (أدهم) يتبادل إطلاق النار ، مع البقية الباقية من رجال السنيورا ، فصرخت وهى تطلق نيرانها عليهم بدورها :

ـ ضاعت فرصتكم أيها الأوغاد .. لقد وصلت (جيهان) .

استدار الرجال لمواجهتها ، فقفزت تحتمى بجزء من الصخرة المنهارة ، وهى تتبادل معهم إطلاق النار ..

ومع تدخلها المباغت ، اقتنص (أدهم) الفرصة ، واستدار يواجه باب القبو ، ويطلق عليه ما تبقى من رصاصات مدفعه الآلى ..

وتحطم الرتاج مع رصاصاته الأخيرة ، فألقى مدفعه جانبًا ، واستلّ مسدسه المزوّد بكاتم للصوت ، وأطلق منه عدة رصاصات على رجلين حاولا مهاجمته ، ثم

قفزت داخل المكان ، وانطلق يعدو نحو القبو ، وهو يتضرّع لله (سبحانه وتعالى) أن يصل إلى (منى) ، قبل فوات الأوان .

وعندما وثب داخل القبو ، كان أمامه مشهد رهيب ..

كانت هناك امرأة شقراء ، تصوّب مسدسًا كبيرًا إلى رأس (منى) ، وتهمّ بإطلاق النار ..

ولكنها لم تكن (سونيا جرهام) ..

ولم تكن حتى أى شخص عرفه من قبل ..

ولكنه لم يفكّر فى هذا ..

ولم يكن يعنيه من هى ..

لقد قفز بكل قوته ، صائحًا :

ـ لا .

وانطلقت آخر رصاصة من مسدسه الكاتم للصوت ، مع صيحته القوية ، فى نفس اللحظة التى ضغطت فيها الشقراء زناد مسدسها ..

وأصابت رصاصته مسدسها أولاً ..

وقبل أن تنطلق رصاصته بجزء من الثانية ..

ومع الإصابة المباشرة ، مال المسدس فى عنف ، وانطلقت رصاصته لتغوص فى جدار القبو ، قبل أن يطير هو بعيدًا ، وتصرخ الشقراء فى ألم وغضب :

ثم التفتت إلى (أدهم) ..

كانت ملامحها أشبه بلوحة متقنة للغضب والثورة ، وهى ترمقه بنظرة تندلع منها ألسنة اللهب ، وتهتف :

ـ أنت .. أنت .

صاح بها (أدهم) فى صرامة :

ـ انتهى الأمر .. لقد خسرت .

ولكنها اختطفت مشرطًا جراحيًا وصرخت بغتة :

ـ بل أنت الذى خسر أيها المصرى .. أنت .

وبكل قوتها هوت بالمشرط ..

على قلب (منى) مباشرة ..

★ ★ ★

أطلقت (جيهان) رصاصاتها فى حماس مدهش ، وراحت تحصد رجال السنيورا فى مهارة ، وهى تهتف :

ـ هيا أيها الأوغاد .. ألا يمكنكم الانتصار على امرأة منفردة ؟

كانت الرصاصات تتناثر من حولها ، وتتفجّر فى الصخرة التى تحتمى بها ، ورصاصاتها تصيب العديدين من رجال السنيورا ، ولكن كلما سقط رجل منهم ، برز من القصر رجلان آخران ، حتى لقد تساءلت (جيهان) فى دهشة ساخرة :

- عجبًا !.. هل يتوالد هؤلاء الأوغاد فى الداخل ؟

لم تكن تحمل سوى مدفع آلى واحد ، تنفد رصاصاته بسرعة ، فى حين يبدو وكأن خصومها يمتلكون ذخيرة لا محدودة ، لا تنضب أو تنفد قط ، إذ لم يتوقف انهمار رصاصاتهم لحظة واحدة ، حتى نفدت ذخيرة مدفعها تمامًا ، فالتقطت مسدسها الصغير ، هاتفة :

- هيا يا (جيهان) .. لا تستسلمى .. علمى هؤلاء الأوغاد كيف يكون القتال ، حتى آخر قطرة دم .

ولكن رجال السنيورا لم يكونوا بالبساطة والمباشرة اللتين تتصورهما ..

لقد كانوا محترفين بحق ..

ففى الوقت الذى واصل فيه بعضهم تبادل إطلاق النار معها ، دار آخرون حول الصخور التى تحتمى بها فى خفية ، ليباغتوها من الخلف ..

وعندما بدأت فى استخدام مسدسها الصغير ، كان اثنان منهم قد نجحا فى الالتفاف بالفعل ، وصوبا مدفعيهما إليها ، و ....

ودوت الرصاصات القاتلة ..

وانتفض جسد (جيهان) فى قوة ، مع دوى الرصاصات خلفها ، وخيل إليها لوهلة أن الرصاصات كلها قد

أصابت ظهرها ، ثم لم تلبث أن انتبهت إلى أنها لا تشعر بأية آلام ، فالتفتت إلى الخلف فى سرعة ، وارتفع حاجباها فى دهشة بالغة ، عندما رأت دبابة ضخمة تتجه نحوها ، وحولها عدد من جنود الجيش ، بكامل عتادهم وسلاحهم ، يعبرون فجوة الأسوار الشمالية ، ويشتبكون مع رجال السنيورا ..

وهتفت (جيهان) فى دهشة :

- رباه .. أهى نجدة من السماء أم ماذا ؟!.. إننى أسمع منذ مولدى تلك المقولة الشهيرة : اسع يا عبد ، وليسع اللّه معك ، ولكننى لم أتصوَّر أنها صحيحة ودقيقة إلى هذا الحد .

برزت من خلف الدبابة واحدة من سيارات الجيش (الجيب) ، وميَّزت بين ركابها المفتش (بابلو) ، الذى هتف فى حرارة :

- لقد وصلنا يا سيدتى .. وصلنا أخيرًا .

تضاعفت دهشتها لمرآه ، وهو يقفز من السيارة ، ويندفع نحوها ، فهتفت به :

يا إلهى !!.. لقد أحضرت معك جيشًا حقيقيًا أيها المفتش .. كيف فعلت هذا ؟!

هتف فى سعادة :

- لقد أقنعت رئيس الأمن العام ، الذى أجرى اتصالاته مع وزير الدفاع شخصيًا ، ووضع هذا الجيش الصغير تحت تصرُّفى .

سألته فى دهشة :

- وكيف أمكنك أن تقنعه بهذا ؟

أطلق ضحكة عالية ، قبل أن يجيب :

- لقد تحدثت أمامه إلى رئيس شرطتنا ، وأخبرته أن السنيورا عرضت علىَّ العمل لحسابها ، فراح يثنى عليها ، ويؤكد لى أن عملى لحسابها سيمنحنى الكثير والكثير ، ثم أبدى دهشته لأننى لم ألق مصرعى ، على الرغم من الانفعالات التى سمعها .. المهم أن حديثه معى كان كافيًا لإقناع رئيس الأمن العام بأنه وراء الأكمةَ ما وراءها ، وأن الأمر أخطر من أن ينتظر أدلة مادية ، فكان ما كان .

ثم سألها فى لهفة :

- ولكن أين السنيورا (صاندو) ؟

اتسعت عيناها ، وهى تهتف :

- يا إلهى !.. (أدهم) .

قالتها ، وانطلقت تعدو نحو القبو ، والمفتش (بابلو) يغمغم خلفها فى دهشة :

- (أدهم) ؟!.. من (أدهم) هذا ؟!

ولكنها لم تسمعه ، فقد انشغل عقلها كله بسؤال واحد ..

تُرى ما الذى حدث فى القبو ؟!..

وما الذى انتهى إليه الأمر هناك ؟!..

هل نجح (أدهم) فى إنقاذ (منى) ؟!

أم .... ؟!..

★ ★ ★

لم يكن (أدهم) فى موقع يسمح له بإنقاذ (منى) أبدًا

لقد نفدت كل رصاصات مسدسه ، وجسده مثخن بالجراح ، والمسافة التى تفصله عن الشقراء كبيرة ، و ....

وبكل غضبه ، صرخ :

- لا .. لا تفعلى .

ومع صرخته ، انطلقت صرخةٌ أخرى ..

صرخة الممرضة ، التى وثبت تتعلَّق بعنق الشقراء ، صارخةً :

- كفى .. كفى .. لم أعد أحتمل هذا .



وبع صرخته ، انطلقت صرخة أخرى ..
صرخة الممرضة ، التى وثبت تتعلق بعنق الشقراء ..

كانت انقضاضتها مباغتة ، حتى أن الشقراء فقدت توازنها ، وسقطت معها أرضًا ، فاختطفت الممرضة زجاجة جلوكوز كبيرة ، وهى تصرخ :

ـ هذا يكفى .. يكفى .

استدارت الشقراء لتواجهها بالشرط الجراحى الحاد ، إلا أن الممرضة هوت بالزجاجة الثقيلة على رأسها بكل قوتها ، وهى تطلق صرخات عالية مخيفة ، ثم راحت تكرّر الضربة فى عنف أكثر ، مردّدة :

ـ هيا .. موتى أيتها اللعينة !.. موتى !

انعقد حاجبا (أدهم) فى شدة ، أمام المشهد البشع ، عندما حطّمت الزجاجة الثقيلة رأس الشقراء ، فتفجّرت منه الدماء فى غزارة ، وهى تطلق صرخات ألم ، لم تلبث أن تحولّت إلى تأوهات مكتومة ، ثم همدت حركتها تمامًا ، والممرضة تواصل ضرباتها وصرخاتها المجنونة ..

وفى ألم ، هتف الطبيب ، وهو يحاول كتمان دماء جرحه الغزيرة :

ـ كفى .. كفى .

وكأنما حمل هتافه هذا الكلمة السحرية المنشودة ، فقد توقّفت الممرضة عن تحطيم ما تبقّى من الجمجمة

بغتة ، وحدّقت فيما فعلته فى ذعر ، وفى الدماء التى
تغطى يدها وصدرها ، ثم انخرطت فى بكاء عنيف ،
وراح جسدها ينتفض فى قوة ، فزحف الطبيب نحوها ،
وضمّها إلى صدره ، مغمغمًا :

ـ لقد انتهى كل شىء .. انتهى كل شىء .

هتفت فى انهيار :

ـ ولكننى قتلتها .. قتلتها بكل قسوة .

تنهّد مغمغمًا :

ـ لقد تعذّبت كثيرًا ، ولم تكونى تدركين ما تفعلينه .

هتفت منهارة :

ـ ولكن القتل أمر بشع .. بشع .

أما (أدهم) ، فعلى الرغم من جراحه المتعدّدة ،
والدماء الغزيرة التى أغرقت ملابسه كلها تقريبًا ، فقد
وقف صامتًا ، يتطلع إلى جثة الشقراء المحطّمة الوجه ،
وينقل بصره منها إلى (منى) ، قبل أن يتجه نحو
الأخيرة فى بطء ، وينحنى ليلتقط يدها الرقيقة ، ويضمّها
إلى صدره ، متمتمًا فى حنان جارف :

ـ إنه أنا يا عزيزتى .. لقد عدت إليك .

اتسعت عينا الطبيب فى دهشة ، وهو يحدّق فى
مؤشرات رسّام المخ الكهربى ، التى راحت ترسم خطوطًا
منتظمة هادئة ، وتمتم :

ـ مستحيل !.. إنها معجزة .

ومع آخر حرف من حروف كلماته ، اندفعت
(جيهان) مع (بابلو) إلى الحجرة ، وهتفت (جيهان) :

ـ (أدهم) .. أأنت بخير ؟!

ثم صرخت فى ارتياع ، مع مظهره الرث ، والدماء
التى تغرق جسده ، وهتفت محدّقة فى الشقراء التى
تحطّم رأسها تمامًا :

ـ يا إلهى !.. (أدهم) ... ماذا حدث هنا ؟!

واندفع (بابلو) نحوه ، هاتفًا :

ـ رباه !.. إنك تحتاج إلى إسعاف عاجل يا سنيور
(صاندو) .

أجابه (أدهم) فى حزم صارم :

ـ دعك منى ، واستدع إسعافًا طائرًا ليحمل (منى)
إلى أقرب وحدة عناية مركّزة .. أسرع بالله عليك ، قبل
أن ..

« (أدهم) » ..

كان ذلك الصوت الخافت ، الذى همس باسمه ضعيفًا
واهنًا ، إلا أنه لم يكد يسمعه حتى انتفض جسده كله فى
عنف ، وخفق قلبه على نحو لم يعهده من قبل ، واتسعت
عيناه عن آخرهما ، وهو يستدير بكيانه كله ، صارخًا :

- (منى) !!

كانت ترقد فى فراش المرض ، رقيقة ساكنة ، كما اعتاد رؤيتها فى الآونة الأخيرة ، ولكن مع فارق جوهرى ضخم ..

لقد كانت عيناها مفتوحتين ، تتطلعان إليه بنظرة ملؤها الحب والحنان ..

وانفرجت شفتا (أدهم) ، وهو يحدّق فيها ، دون أن تخرج من بينهما كلمة واحدة ، وارتعد جسد (جيهان) ، واغرورقت عيناها بالدموع ، مع غصة فى حلقها ، فى حين أطلّ ذهول عارم من عيون (بابلو) والطبيب وممرضته ، وهبط على المكان صمت مهيب ، بدا وكأنه قد فصل تلك المنطقة بالتحديد عن كل ما يدور حولها من أحداث ..

ثم تمتمت (منى) بصوت رقيق ، وهى تضغط أصابع (أدهم) فى رفق ، وتبتسم ابتسامة باهتة مجهدة :

- يخيّل إلىّ أننى نمت طويلاً .. طويلاً جدًّا .

ركع (أدهم) على ركبتيه ، إلى جوار فراشها ، وهو يقول بصوت متهدّج ، وبكلمات حمل كل حرف من حروفها حبًّا يكفى لملء قلوب عشرات المحبين :

- ليس المهم كم نمت يا حبيبتى .. المهم أنك الآن هنا .. المهم أنك عدت إلينا .

لم تستطع (جيهان) السيطرة على عواطفها ، فأجهشت بالبكاء فى حرارة ، فى حين لم ينطق (بابلو) بحرف واحد ، وتمتم الطبيب ذاهلاً :

- إنها معجزة .. معجزة بحق .

أما (منى) ، فقد تطلّعت إلى (أدهم) طويلاً ، قبل أن تقول :

- ولكنك مصاب يا (أدهم) .. رباه !.. أنت مصاب بشدة .

هزّ رأسه وهو يبتسم ابتسامة شاحبة ، واحتضن يدها بين راحتيه وهو يقول :

- لا تقلقى نفسك يا حبيبتى .. إننى مستعد لتحمّل إصابات الدنيا كلها من أجل عينيْك .

تطلّعت إلى عينيه فى قلق ، هامسة :

- ماذا حدث ؟!

ربّت على يدها الرقيقة ، مجيبًا :

- كل شىء على ما يرام .. لا داعى للقلق .

شعر (بابلو) برغبة عارمة فى البكاء ، فأشاح بوجهه ، قائلاً :

ـ سأستدع الإسعاف .

وأسرع يغادر الحجرة ، مارًا بـ (جيهان) ، التى راحت تبكى فى حرارة ، مطلقة العنان لكل مشاعرها وانفعالاتها ، و (أدهم) يهمس لـ (منى) :

ـ سأروى لك كل شىء بإذن الله ، عندما تستعيدين نشاطك .. سأقصّ عليك قصة سنيورا مجنونة ، تصوّرت يومًا أنها ستصبح أقوى امرأة فى العالم ، ثم انتهت حياتها بزجاجة جلوكوز بسيطة ، و ....

قاطعه الطبيب ، وهو يهتف فجأة :

ـ بزجاجة جلوكوز ؟!.. ولكن تلك التى لقيت مصرعها ليست السنيورا ؟!

انتفض جسد (أدهم) فى عنف ، والتفت إليه فى حركة حادة هاتفًا :

ـ ليست السنيورا .

أجابته الممرضة فى مرارة :

ـ نعم .. هذه مساعدتها (ماريا) .. (ماريا بوناسيو) .

اتسعت عينا (أدهم) بشدة ، وتفجّر فى أعماقه غضب هادر ، فى نفس اللحظة التى التقطت أذناه فيها هدير مروحة هليوكوبتر ، تقلع من سطح القصر ، فصاح :

ـ يا للعينة !..

ثم هتف بـ (منى) وهو يعدو إلى خارج المكان :

ـ سأعود إليك .

قفزت (جيهان) من مكانها ، وانطلقت خلفه هاتفة :

ـ انتظرنى .

بدت الدهشة على (منى) ، وهى تتطلّع إلى (جيهان) ، التى انطلقت خلف (أدهم) دون تردُّد ، وكأنما اعتادت هذا منذ فترة طويلة ، وتمتمت فى خفوت :

ـ تُرى هل تغيَّرت أمور كثيرة ، فى أثناء فترة نومى الطويلة ؟!

وبينما كانت تنطق عبارتها ، كان (أدهم) و (جيهان) يندفعان إلى ساحة القصر ، ويتطلّعان إلى الهليوكوبتر ، التى تحمل على جانبها شعار الأفعى ، والتى حلّقت مبتعدة فى الهواء ، وهتف (أدهم) فى غضب :

ـ ألم تحضروا معكم هليوكوبتر أخرى ؟!.. هل سنتركها تفرّ على هذا النحو ، أمام عيوننا جميعًا ؟!

ولكن أحدًا لم يجب ، وإن تعلّقت عيون الجميع بالهليوكوبتر ، التى انطلقت من داخلها ضحكة ساخرة غير مميَّزة ، قبل أن تختفى وسط الظلام ..

وفى دهشة ، هتف أحد الجنود ، وهو يحدق فى (أدهم) :

ـ رباه !.. إنك مصاب بشدة يا سنيور ، ويحتاج إلى إسعاف عاجل .

أجابه (أدهم) فى غضب ساخط ، وهو يتطلع إلى السماء المظلمة ، حيث اختفت الهليوكوبتر مع السنيورا الغامضة :

ـ بل كنت أحتاج إلى مدفع صاروخى ، لو شئت الدقة .

قالها ، واستدار ليعود إلى (منى) ، ولكن استدارته جعلت الأرض تميد تحت قدميه ، فترنح جسده فى شدة ، وهتفت (جيهان) :

ـ (أدهم).. يا إلهى .. (أدهم) .

وكان هذا آخر ما سمعه (أدهم صبرى) ، قبل أن تعجز قدماه عن حمله ، فيهوى أرضًا ، وتظلم الدنيا كلها أمام عينيه ، و ....

ويتجاوز عالم الوعى ..



١١ ـ الختام ..

تنهد المفتش (هانكس) ، وهو يقدم تقريره النهائى إلى رئيسه ، فى مكتبه الرئيسى فى العاصمة (واشنطن) ، وقال مبهورًا :

ـ أعتقد أنها أخطر قضية جاسوسية فى تاريخنا الحديث ، بعد الحرب العالمية الثانية يا سيدى .. لقد ألقينا القبض على أكثر من ثلاثين رجلاً ، من كبار المسئولين ورجال الجيش والشرطة ، كانوا يعملون لحساب تلك السنيورا ، هذا بخلاف كل من ألقى القبض عليهم فى (المكسيك) ، و (البرازيل) أيضًا .. الواقع أننا ندين لرجل المخابرات المصرى هذا بالشكر الجزيل ؛ فقد قدم لنا خدمات جليلة بحق .

سأله رئيسه فى اهتمام :

ـ ولكن ماذا عن السنيورا نفسها ؟!.. ألم يُستدل عليها بعد ؟

هز (هانكس) رأسه نفيًا ، وهو يجيب :

ـ مطلقًا .. لقد اختفت تمامًا ، وكأنما انشقت الأرض وابتلعتها ، ولقد عثروا فى (المكسيك) على طائرتها الهليوكوبتر محطمة وسط الجبال ، ولكن لم يكن هناك أثر لها أو لجثتها ، أو حتى ما يشير إلى أنها كانت داخلها عندما تحطمت ، ثم التهمتها الذئاب مثلاً .. والأرجح أنها تخلصت منها ؛ لتمحو آخر أثر لها ، قبل أن تنتحل شخصية جديدة ، أو تستقر فى مكان آخر ، باسم آخر .

أومأ رئيسه برأسه ، ثم سأله :

ـ ألا يوجد ما يمكن أن تستدل به على شخصيتها ، أو هويتها السابقة ؟!

عاد (هانكس) يهز رأسه نفيًا ، ومط شفتيه فى أسف ، مجيبًا :

ـ على الإطلاق . وهذا أكثر ما يثير دهشتى بشأنها .. هل تصدق أن كل من رآها عن قرب لقى مصرعه ، والباقون من رجالها لا يمكنهم حتى وصفها بدقة ، فلم يرها أحدهم عن قرب قط ، ومن الواضح أنها لم تكن تسمح بالاقتراب منها سوى لعدد محدود من الأشخاص ، وحتى الذين تصوروا أنهم تعاملوا معها شخصيًا ، ثبت بالتحريات أن تلك التى رأوها أو تحدثوا إليها لم تكن

السنيورا ، وإنما كانت مساعدتها (ماريا بوناسيو) .. والأغرب أننا لم نعثر على بصمة واحدة لها فى القصر كله ، بعد كل تلك الفترة التى عاشتها فيه .

رفع رئيسه حاجبيه وخفضهما ، وهو يتمتم مبهورًا :

ـ يا لها من امرأة !

ثم عاد يسأله فى اهتمام أكثر :

ـ وماذا عن رئيس الشرطة ، فى تلك البلدة المكسيكية ؟! ألم يكن هناك تعامل مباشر بينه وبينها ؟!

أجابه (هانكس) :

ـ هذا صحيح ، ولكنه لم ير سوى (ماريا) ، وطوال الوقت كان يتعامل معها عبر الهاتف فحسب ، ولقد وجدوا فى قصرها أجهزة كمبيوتر خاصة ، مهمتها تغيير صوتها إلى أى صوت تشاء ، عندما تتحدث هاتفيًا .

قال رئيسه :

ـ يا لها من امرأة حذرة !.. ألم تترك خلفهما ولو معلومة واحدة ؟

هز (هانكس) كتفيه ، قائلاً :

ـ مجرد شائعات ، لا يمكن أبدًا تأكيدها أو نفيها ، فالبعض يقول : إنها روسية الأصل ، قضت فترة فى

معتقل (سيبيريا) ، ثم نجحت فى الفرار إلى (أمريكا) ، حيث عملت كسيّدة أعمال ، إلى أن كوّنت ثروة طائلة ، استخدمتها لتأسيس منظمتها ، والبعض الآخر يؤكد أنها فرنسية ، وأن كل ما تفعله مجرّد ستار للمخابرات الأوروبية ، التى تسعى للتسلل إلى (أمريكا الشمالية) والجنوبية ، وتشير بعض الشائعات الأخرى إلى أنها إسرائيلية المولد ، كانت تعمل قديمًا فى صفوف (الموساد) ، ثم انفصلت عنه لتؤسّس جهاز مخابراتها الخاص ، أو أنها أسبانية ، كانت تعمل قديمًا فى تهريب الماس ، ثم قرّرت اقتحام عالم الجاسوسية .. مجرّد شائعات يتم فحصها كلها الآن ، فى القسم الخاص بهذا من الإدارة .

سأله رئيسه :

ـ ماذا عن حياتها الشخصية أو الاجتماعية ؟!.. ألم تتناولها تلك الشائعات أيضًا ؟!

مطّ (هانكس) شفتيه ، قائلاً :

ـ بالتأكيد .. قالوا : إنها كانت زوجة لواحد من كبار رجال السياسة فى (بريطانيا) ، بل وربطها بعضهم بالأمير (تشارلز) شخصيًا ، وقال البعض الآخر إن لها ولدًا واحدًا ، يتلقى تعليمه فى مدرسة داخلية شهيرة فى

(لندن) ، وإنها تنفق عليه بسخاء ، وسمعنا شائعة ثالثة يصرّ أصحابها على أنها شقيقة واحد من كبار زعماء (المافيا) ، ولكنها انشقّت عن العائلة ، وتحاول إثبات تفوقها على رجالها ، باقتحام مجال بالغ الحساسية والخطورة كهذا .

ثم قلب كفيه ، وعاد يهزّ كتفيه ، مستطردًا :

ـ مجرّد شائعات ..

أومأ رئيسه برأسه متفهمًا ، وتنهّد قائلاً :

ـ لن يدهشنى لو أنها هى نفسها التى أطلقت كل هذه الشائعات ؛ لإرباك كل من يسعى لتحرّى أمرها .

وافقه (هانكس) وأضاف فى حزم :

ـ الشىء الوحيد المؤكّد ، هو أنها ليست امرأة عادية ، بأى حال من الأحوال .

تمتم رئيسه :

ـ بالتأكيد .

ثم عاد يلتقط التقرير ، ويلقى عليه نظرة سريعة ، قبل أن يرفع عينيه إليه ، قائلاً فى اهتمام بالغ :

ـ آه .. كدت أنسى أن أسألك عن أهم شخصية فى العملية كلها .. عن (أدهم صبرى) نفسه .. كيف حاله الآن ؟!

بدا الأسف على وجه (هاتكس) ، وأطلَّ واضحًا من صوته ، وهو يجيب :

ـ الأطباء يقولون : إن حالته الصحية بالغة الحساسية والخطورة ؛ فلقد أصيب بإصابات عديدة ، وفقد الكثير من دمه ، وعلى الرغم من هذا فقد واصل القتال كالوحش ، حتى حقَّق انتصاره ، ولقد أثَّر هذا كثيرًا على خلاياه وأجهزته ، وبالذات الكبد والمخ ، وهم يبذلون قصارى جهدهم الآن لرعايته وعلاجه .

هزَّ رئيسه رأسه ، قائلاً :

ـ كان ينبغى أن نعالجه على نفقتنا الخاصة هنا ، فى الولايات المتحدة ؛ فهذه أقل مكافأة نقدمها له .

تنهَّد (هاتكس) ، وأجاب :

ـ لقد عرضت هذا رسميًا بالفعل ، ولكن دولته اعتذرت ، وأصرَّت على علاجه فى (مصر) ، وعلى أيدى أطباء مصريين ، وأكَّد لى السفير المصرى أنهم لا يقلُّون كفاءة ، بأى حال من الأحوال ، عن أفضل أطبائنا .. ولقد تم نقله مع زميلته ، بطائرة طبية خاصة ، إلى (القاهرة) ، مع فريق من الأطباء ، تطوَّعوا جميعًا للعناية بهما ، حتى يصلا إلى هناك .

شرد رئيسه ببصره لحظات ، قبل أن يتمتم :

ـ كل ما نملكه إذن هو أن نتمنى له الشفاء ، ففقدان مثله خسارة بالتأكيد .. خسارة فادحة .

فى نفس اللحظة التى نطق فيها عبارته هذه ، كانت الدموع تغرق وجه (قدرى) ، فى مستشفى المعادى العسكرى فى (القاهرة) ، وهو يسأل رئيس فريق الأطباء ، الذى يشرف على علاج (أدهم) :

ـ هل تعتقد أنه سيشفى يا دكتور ؟!.. هل تعتقد أنه سينهض من كبوته هذه ، ويعود إلينا ثانية ؟!

أجابه الطبيب فى هدوء :

ـ الشفاء بيد الله (سبحانه وتعالى) .. كل ما نملكه هو أن نبذل قصارى جهدنا من أجله .

سألته (جيهان) فى حزن جارف :

ـ وما نسبة الأمل فى نجاته من هذا ؟

هزَّ الطبيب كتفيه ، قائلاً :

ـ نحن لا نفقد الأمل أبدًا .. لقد استخرجنا من جسده ست رصاصات ، وعدد من الشظايا الكامنة ، وأغلقنا ثقبًا فى رئته اليمنى ، ونقلنا إليه لترين ونصف من الدم ، ونمنحه الآن الرعاية والعلاج المناسبين ، وهذا كل ما يمكننا فعله .

انحدرت دموعها على وجنتيها ، وهى تتمتم :

- لم يتبق إذن سوى أن نتضرَّع إلى اللّـه (سبحانه وتعالى) أن يعيده إلينا سالمًا .

وبكى (قدرى) فى حرارة ، قائلاً :

- يا للقدر !.. هل رأيت تلك المفارقة العجيبة ؟!.. (منى) تستعيد وعيها ، بعد غيبوبة عميقة ، فيسقط (أدهم) فى غيبوبة أخرى !! ألم يُكتب لهما أن يلتقيا ثانية أبدًا ؟!

شعرت بغصة فى حلقها مع قوله ، وتمتمت :

- المكتوب على الجبين لابد أن تراه العين .

ثم تنهَّدت ، مستطردة :

- وبمناسبة الحديث عن (منى) .. إنها تطلب رؤيتى ، وتقول : إنها تريد أن تتعرَّف الزميلة ، التى شاركت (أدهم) مغامراته بعدها .

تشبَّث (قدرى) بيدها ، قائلاً :

- لا تخبريها أن (أدهم) فى غيبوبة .. أخبريها أنه يرسل إليها تحياته ، وأنه بخير ، وسيتعافى سريعًا ، ويأتى لزيارتها .. الأطباء أكدوا أنها لن تحتمل مواجهة الحقيقة ، وأنها قد تصاب بانتكاسة من جراء هذا .

تمتمت (جيهان) :

- اطمئن .. أنا أعرف ما ينبغى فعله جيدًا .

وعلى الرغم من مشيتها الواثقة ، وهى تتجه إلى حجرة (منى) ، كانت أعماقها ترتجف كريشة فى مهب الريح ..

لم تكن المواجهة بالنسبة إليها سهلة أبدًا ..

مواجهة المرأة التى تنافسها فى حب (أدهم) ..

ولكنها كانت مواجهة لا مفرّ منها ..

(منى) بنفسها طلبت رؤيتها ..

وهى لا تدرى ، حتى الآن ، السبب الحقيقى لهذا ..

ربما شعر قلبها بأنها أيضًا تعشق (أدهم) حتى النخاع ..

أو أنها تريد التأكد من هذا ..

بذلت قصارى جهدها ، لتطرح الفكرة من رأسها ، وهى تدلف إلى حجرة (منى) ، وترسم على شفتيها ابتسامة أنيقة ، قائلة :

- صباح الخير يا (منى) .. (أدهم) يبلغك تحياته الحارة ، ويقول : إنه سيحضر لزيارتك بنفسه ، عندما يسمحون له بمغادرة حجرته .

تطلّعت إليها (منى) بنظرة صامتة طويلة ، قبل أن تتمتم :

- (أدهم) لم يطع أوامر الأطباء قط .

ارتبكت (جيهان) أمام هذه اللهجة الواثقة ، وقالت :

ـ إنه مضطر هذه المرة ، فهو ..

قاطعتها (منى) فجأة :

ـ (جيهان) .. ما شعورك تجاه (أدهم) ؟

كان السؤال حاسمًا مباشرًا ، على نحو لم تتوقَّعه (جيهان) أو تتصوَّر حدوثه قط ، حتى أنها حدَّقت فى وجه (منى) باضطراب شديد ، قبل أن تجيب بصوت لا يصلح لخداع دمية من المطَّاط :

ـ (أدهم) زميل عزيز .. أقصد أنه رئيسى فى العمل ، وأنا أحترمه وأقدِّره ، و ...

ارتسمت ابتسامة حزينة على شفتى (منى) ، وهى تقول :

ـ أنت تحبينه يا (جيهان) .

اتسعت عينا (جيهان) فى هلع ، واحتبست الكلمات فى حلقها ، وحتى تحدِّق فى وجه (منى) ، وفى عينيها ، اللتين ترقرقتا بالدمع ، مع استطرادتها :

ـ ما من امرأة يمكن أن تعمل إلى جوار (أدهم) ، دون أن تقع فى حبه بكيانها كله .

بذلت (جيهان) جهدًا خرافيًا ، لتتمتم بصوت مختنق :

ـ ولكنه يحبك أنت يا (منى) .

تحوَّل الدمع المترقرق فى عينى (منى) إلى سيل منهمر ، أغرق وجهها كله ، وهى تقول :

ـ أنا لم أعد أصلح له يا (جيهان) .. لم أعد أصلح لرجل مثله .. (أدهم) يستحق ما هو أفضل بكثير .. أنا تحوَّلت إلى حطام .. إلى شبح امرأة .. إنك لم ترى جسدى جيدًا .. إنه يحمل أثر عشرات الرصاصات والطعنات ، والأطباء يقولون : إن فترة غيبوبتى الطويلة أصابت عضلات ساقىَّ بوهن مزمن ، سيحتاج إلى عام كامل من العلاج الطبيعى ، حتى يمكننى الوقوف على قدمىَّ ، وإلى عام آخر ، قبل أن أعود لسابق عهدى .. ومن المؤكَّد أنهم لن يعيدوننى بعدها قط إلى قطاع العمليات الخارجية ، ولن أعود للعمل إلى جوار (أدهم) مطلقًا .

انتزعت (جيهان) الكلمات من أعماقها انتزاعًا ، وهى تغمغم :

ـ هل تعتقدين أن (أدهم) يعنيه هذا ؟! .. إنه يحبك يا (منى) .. يحبك ولم ولن يحب سواك .. إننى أعترف أننى غارقة فى حبه بكيانى كله كما تقولين ، ولكنه لم

يشعر بوجودى لحظة واحدة ، لأنه غارق بكيانه كله فى حبك أنت .

هتفت (منى) فى مرارة :

ـ خطأ .. خطأ .. ينبغى أن يدرك أننى لم أعد أصلح له .. ينبغى أن يدرك هذا جيدًا .

ثم أمسكت يد (جيهان) ، وتطلّعت إلى عينيها فى ضراعة ، مستطردة :

ـ ساعدينى على أن يدرك هذا يا (جيهان) .. أرجوك .. ساعدينى على أن يحبك (أدهم) مثلما أحبنى .

انحدرت الدموع على وجنتى (جيهان) ، وهى تغمغم :

ـ وهل تعتقدين أنه هناك وسيلة واحدة ، فى الكون كله ، يمكنها أن تحقق هذا ؟!

انتحبت (منى) ، وهى تشدّ على يدها ، قائلة :

ـ لابد أن نحاول يا (جيهان) .. ساعدينى أرجوك .. لابد أن نحاول .

هتفت (جيهان) :

ـ ولكن (أدهم) رجل رائع .. أروع رجل عرفته فى حياتى كلها .

أجابتها (منى) :

ـ ولهذا فهو لا يستحق نصف امرأة مثلى .

ثم انخفض صوتها ، وهى تضيف باكية فى حرارة :

ـ إنه يستحق واحدة مثلك أنت .

حاولت (جيهان) أن تقول شيئًا .. أى شىء ، ولكن لسانها تحجّر فى حلقها ، وعجز عن نطق حرف واحد ، فتركت دموعها تنهمر فى غزارة ، وهى تنحنى لتطبع قبلة على جبين (منى) ، ثم تندفع مغادرة الحجرة كلها ..

ولكنها ، وقبل أن تبلغ الباب ، سمعت (منى) تهتف باسمها ، فتوقّفت ، والتفتت إليها متسائلة ، فتمتمت (منى) من وسط دموعها :

ـ اعتنى بـ (أدهم) جيدًا .

ولم تحتمل (جيهان) ..

لقد انفجرت باكية ، وهى تعدو خارج الحجرة ، ثم استندت إلى الجدار المجاور لبابها من الخارج ، وكأنما لم تعد ساقاها بقادرتين على حملها إلى ما هو أبعد من هذا ، وغمغمت لنفسها فى مرارة :

ـ ليتك تعلمين أن القضية لم تعد قضية من منا تستحق (أدهم صبرى) يا (منى) .. صدقينى .. إننى مستعدة

للتنازل عنه لك عن طيب خاطر ، على أن يشفى ويعود إلينا .. المهم هو أن يعود إلينا يا (منى) .

ومع آخر حروف كلماتها ، انطلقت تبكى بكاءً حارًا ، وبدت دموعها أشبه بحمم ملتهبة ، تتدفق من أعمق الأعماق ..

أعماق قلب جريح .

★ ★ ★

[تمت بحمد الله]

قبضة الشر

• كيف يمكن لـ (أدهم) أن يواجه أقوى الأسلحة الأمريكية وأحدثها وحده ؟!

• ما الخطة الجديدة، التى ستتبعها السنيورا الغامضة، للقضاء على (أدهم) هذه المرة ؟!

• ترى هل ينجح (أدهم صبرى) فى استعادة زميلته (منى توفيق)، أم تنتهى حياتها فى (قبضة الشر) ؟

• اقرأ التفاصيل المثيرة، وقاتل بعقلك وكيانك مع الرجل .. (رجل المستحيل) ..



العدد القادم : اغتيال

د. نبيل فاروق

رجل المستحيل
سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة

109

٢١٢٦٩

الثمن فى مصر ٢٠٠
ومايعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم